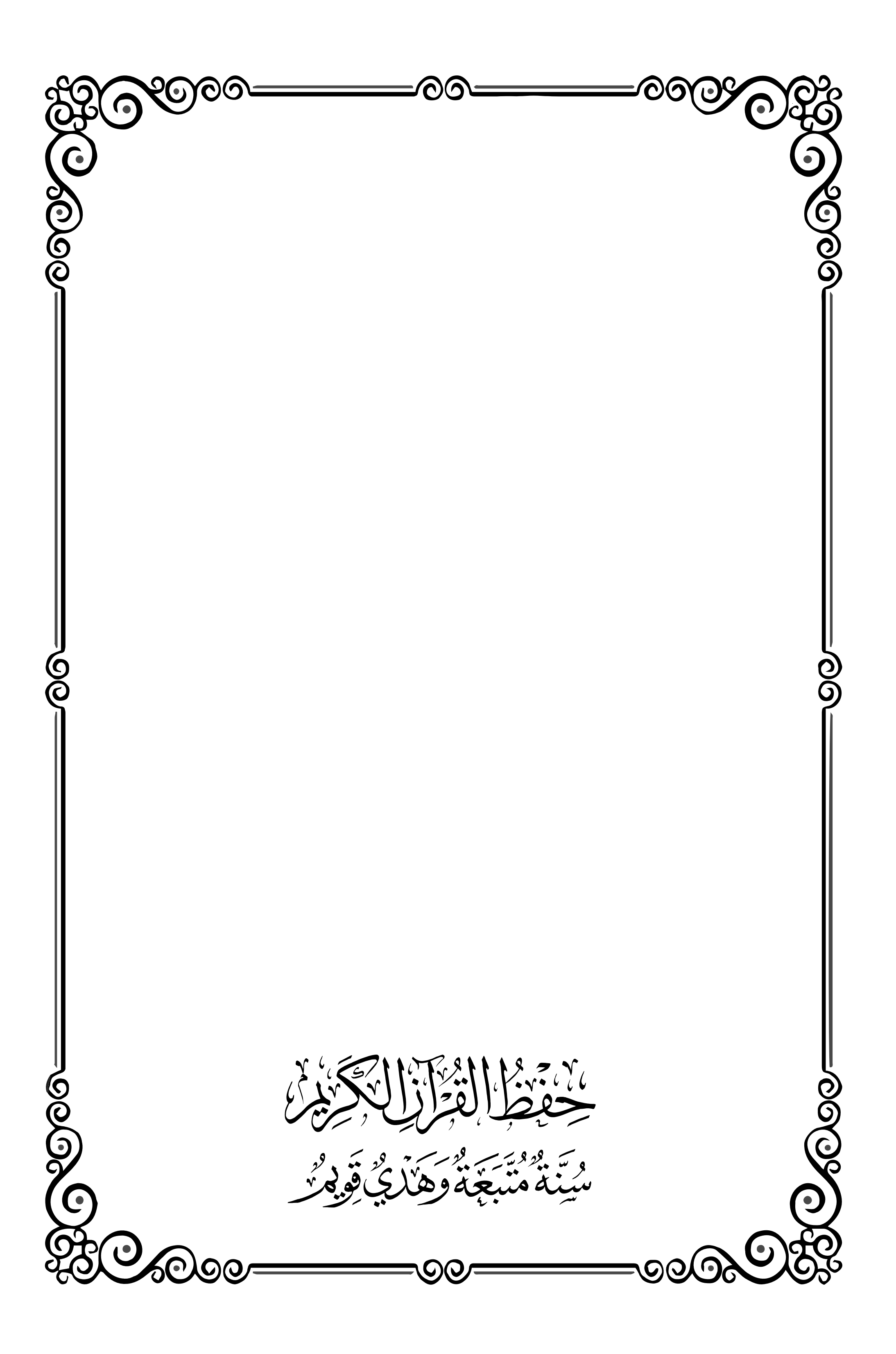
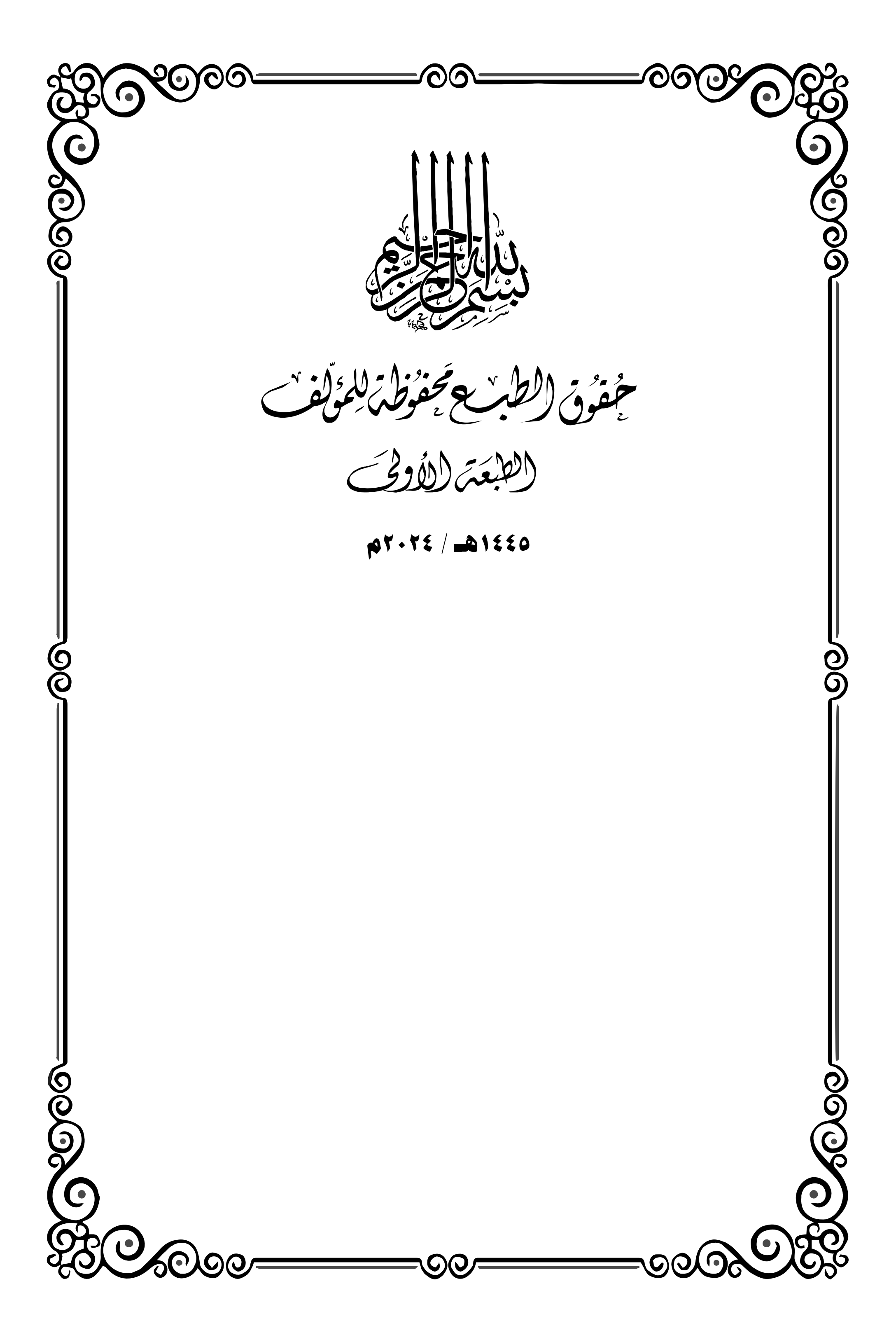


حفظ القرآن الكريم
سُنَّة مُتَّبَعَة وهَدْيٌ قويم






الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م

# حفظ القرآن الكريم

## سنة متبعة وهدي قويم

رسالتان في حفظ القرآن


كتبه

علي حسين الفيلكاوي

## أيها المسلمون احذروا هذه العبارات الباطلة المسمومة

## وإياكم إياكم والاغترار بأصحابها

## فإنهم أهل شر وفتن

## أعاذنا الله وإياكم من الشرور والفتن

**فقد خرج علينا من يتبنى الضلال ويقرره في أوساط السلفيين**

**ومن هذا الضلال قولهم: «قراءة القرآن الكريم أو حفظه على طريقة أبي عبد الرحمن السلمي من أصول السنة التي ينعقد عليها الولاء والبراء»**

**حتى قال قائلهم: «إن قال قائل: تريد منَّا أن نفهم القرآن كله على الفهم الصحيح، بعدين نحفظه؟.**

**الجواب: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ ...»**

**«من قرأ القرآن الكريم أو حفظه على خلاف ما جاء في أثر أبي عبد الرحمن السلمي فهو مخالف لهدي الصحابة وخارج عن جماعتهم»**

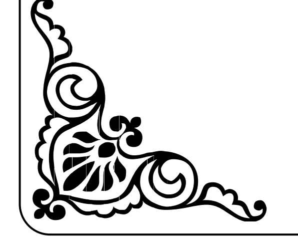
**«تضليل من يقرأ القرآن الكريم أو يحفظه دون أن يجمع مع قراءته أو حفظه له تعلم التفسير»**

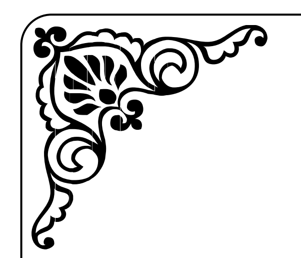
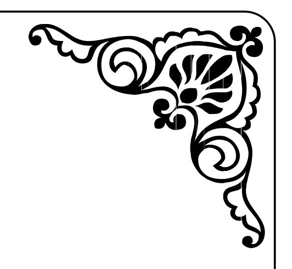
**«التزهيد في حفظ القرآن سواء للكبار أو الصغار»**

**«التحسر على حفظه وعلى تحفيظه الصغار»**



**وغيرها كثير**

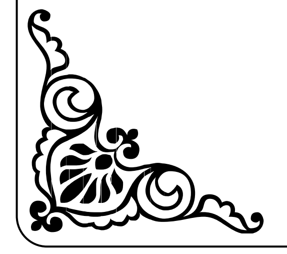
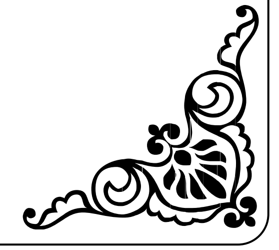


# حافظ القرآن

## مأجور عند الله عز وجل

## إن أخلص له سبحانه، تعلم التفسير أم لم يتعلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

**أما بعد:**

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**ثم أما بعد:**

فإن لحفظ القرآن في السنة النبوية، وفي هَديِ سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وفَهمِهِم، سبيلين؛ أحدهما أكمل وأتم من الآخر، لا شك في ذلك ولا ريب، ولكن لا يخلو أحدهما من خير، ومن فضل، وأجر.

* **السبيل الأولى**: أن يتعلم القرآن والعلم جميعًا، فيحفظ من القرآن ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ له أن يحفظه، ويتعلم معه التفسير، وما في هذه الآيات التي حفظها من

أحكام، فيجمع بين الحفظ والفهم، وهذه أكمل وأتم وأنفع للعبد.

وذلك يعني أن قراءة القرآن أو حفظه سابقٌ لفهمه وتعلم تفسيره، فمعرفة الألفاظ تأتي أولاً، ثم يتبعها الفهم، وتعلم التفسير، وليس العكس، وإلا فكيف تأمر العباد بأن يفهموا ما لم يقفوا علىٰ ألفاظه، وما لم يعرفوا ألفاظه؟!!.

ففهم كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتعلم تفسيره تابعٌ للحفظ، أو القراءة، وليس الحفظ أو القراءة تابعَين للفهم(١).

---

(١) كما تقرر «مجموعة النهج – غير – الواضح»!!، وهذا واضحٌ في قول قائلهم:

«حوار افتراضي: إن قال قائل: تريد منَّا أن نفهم القرآن كله علىٰ الفهم الصحيح بعدين نحفظه؟.

الجواب: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، وقد قال السلمي عن الصحابة: «حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا [أي الصحابة] أنهم كانوا يستقرِئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتىٰ يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا».

فإن قال قائل: يا أخي مع الحفظ يأتي الإيمان، هذا ما نقوله ونكتبه.

الجواب: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، فعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة [أي دون البلوغ]، فتعلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانًا»اهـ.

وقول الآخر: «أقول حفظكم الله، عائشة زوج النبي في حادثة الإفك تقول كما في الصحيحين وأنا جارية حديثة السن لا أحفظ كثيرًا من القرآن، وهنا وقفة، كيف ولِمَ لا تحفظ كثيرًا؛ ورسول الله ﷺ زوجها، والصِّدِّيق والدها، ونحن في قريتنا جملة كثيرة من الصغار يحفظون القرآن، نعم يحتاج الأمر إلىٰ تأمل، نعم؛ وحفظ القرآن من فضائل الأعمال، ولكن كيف تعامل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع هذا الفضل، فقف وتأمل، وخير الهدي هدي نبينا وأصحابه»اهـ.

وقول الثالث: «... ابن عمر وبإسناد صحيح حفظ البقرة بأربع سنين، «وأنا حفظتها بأربع أيام»؛ هكذا كانوا يُعلموننا «للأسف»، احفظ ثم بعدها تتعلم، فبالأول نجمع المتون وأولها القرآن ...»اهـ بتعديل بعض ما نطق به بالعامية.

فهل يحتاج العاقل المنصف أكثر من هذا ليفهم مرادهم، وأن أصول السنة عندهم أنْ لا يحفظ المسلم شيئًا =

فيبدأ العبد المسلم بحفظ الآيات، ثم يتعلم ما فيها، ولا يجاوزها إلىٰ غيرها، حتىٰ يتعلم ويعمل، فيجمع بين الحفظ والفهم والعمل، هكذا جاء في الأثر عن أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والذي قد أُرِيد به أن يتعلم العبد ما يحتاج إليه من أمور دينه، لكي يعبد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ علم، لا أن يتعلم تفسير كل لفظة من ألفاظ القرآن، ولا أن يقف عند كل لفظة من ألفاظ ما يحفظ من آيات القرآن؛ لا يجاوزها حتىٰ يتعلم تفسيرها؛ وإلا كان مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم، كما هو زعم هذه «المجموعة»!!.

فليفهم هذا من جعل الفهم والوقوف عند كل آية ليتعلم تفسيرها أصلاً في حفظ القرآن، وفي قراءته، وخَطَّأَ من خالف طريقة أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، وجعله مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم!!.

* **السبيل الثانية**: أن يتعلم القرآن فيحفظه، أو يحفظ ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ له أن يحفظه منه؛ ثم هو في تعلم تفسير ما يحفظ من الآيات، ومعرفة ما فيها من أحكام؛ له حالتان: إما أن يتعلم منها ما يحتاج إليه، وما لابد له منه؛ من فروض

---

=

من القرآن إلا مقرونًا بتعلم التفسير، ورحم الله المتنبي إذ يقول:

**وليس يصح في الأفهام شيءٌ ... إذا احتاج النهار إلىٰ دليل**

ولست أدري حقيقةً كيف سيُصلي من هو ممنوعٌ من حفظ فاتحة الكتاب مادام مُعرضًا عن تعلم التفسير وغير راغبٍ فيه؟!!.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكفي المسلمين شر هذه الدعوة، وهذا التأصيل الباطل، وشر هذا الفهم المنحرف؛ الخارج عن هدي السلف!!.

(١) وهذا علىٰ ما فَهِمَه هو منه؛ من أنه يريد الجمع بين حفظ القرآن وبين الوقوف عند كل آية منه؛ لتعلم تفسيرها وإلا فلا!!.

عينية وواجبات، تجب علىٰ حافظ القرآن وغيره، فليست هي خاصة في حافظ القرآن أو قارئه وحده دون غيره، وإنما يحتاجها هو وغيره ليُصحِّح بها عمله وعبادته، وإما أن يحفظ القرآن ثم يترك تفسيره كله، فلا يتعلم منه شيئًا يُصحح به عمله وعبادته؛ وذلك إما لعجز، أو كسل، أو غير ذلك.

وهذا الأخير إن أَثِم؛ فعلىٰ تقصيره في العبادة، وإخلاله فيها، إذ عَبَدَ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ جهل، وعلىٰ غير بصيرة، وكان الواجب عليه أن يسأل أهل الذكر - مادام جاهلاً - وأن يتعلم منهم ما يجعله يعبد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ علم، وقد أمره الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بذلك فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فهو أمرٌ لازمٌ عليه، به يرفع الجهل عن نفسه، وبه يُصحِّح عبادته، وبه يرتفع عنه الإثم والحرج، ويكون قد عَبدَ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ علم، إذ جمع بين الحفظ وبين العبادة الصحيحة التي تعبَّد فيها لله عَزَّوَجَلَّ بعد أن سأل أهل الذكر عما هو جاهلٌ به من أحكام، التزامًا منه بما أمره الله عَزَّوَجَلَّ به.

فتقصيره في العبادة إذًا، وإخلاله فيها، بسبب جهله وعدم رجوعه لأهل الذكر؛ هو الذي أوقعه في الإثم ابتداءً، وليس الإثم ولا المخالفة في حفظه القرآن علىٰ خلاف أثر أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا في قراءته القرآن دون أن يقف عند كل آية منه ليتعلم تفسيرها، كما يزعم أصحاب القول الجديد المُحدَث، الذين جعلوا حفظ القرآن أو قراءته دون الوقوف عند كل آية منه وتعلم تفسيرها مخالفًا لهدي الصحابة، وخروجًا عن جماعتهم!![1].

(١) وهذا علىٰ ما فهموه هم من أثر أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - من أنه يريد الجمع بين حفظ القرآن وبين الوقوف عند كل آية منه؛ لتعلم تفسيرها وإلا فلا - وإلا فهو بريء من هذا المذهب براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

بل هو في حفظه لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ مأجور، وله من الفضل في الآخرة مما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ لحفظة القرآن، إن هو أخلص في حفظه لله، لا شك في ذلك ولا ريب.

فهذان سبيلان لحفظ القرآن، فمن شكَّك المسلمين بأحد هذين السبيلين، وجعل الكمال والتمام في الحفظ لازمًا، فوصف مَن يحفظ القرآن دون أن يجمع بين الحفظ والتفسير بمخالفة هدي الصحابة والسلف، فهو المخالف لهدي النبي ﷺ، ولهدي سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وهو الخارج عن سبيلهم.

وفي قوله هذا تزهيدٌ للمسلمين في حفظ القرآن، وصرفٌ لهم عنه، أراد ذلك أم لم يُرِده.

**❋ وبيان ذلك من عدة أوجه:**

- **الوجه الأول**: أن النبي ﷺ قد حث علىٰ حفظ القرآن في أحاديث كثيرة، وبيَّن أن حفظه في الصدور من خصائص هذه الأمة، وأن لحافظه عن ظهر قلبٍ أمورًا تخصه في الدنيا والآخرة.

وهذا أمر معلوم، يعلمه كل من له أدنىٰ مسكة من علم، ولذلك: لن أطيل الكلام فيه، وإنما سأكتفي بالإشارة لِمَا لحافظ القرآن في الآخرة من الأجر والثواب، ثم أنتقل بعد ذلك إلىٰ المقصود من هذه الرسالة.

**❋ فمن ذلك:**

ما جاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**»[1].

---

(١) قال الألباني: «حسن صحيح»، انظر كتاب: «صحيح سنن أبي داود» (٥ / ٢٠٥)، حديث: (١٣١٧).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أُسهِرُ ليلَكَ، وأُظمِئُ هواجِرَك، وإن كلَّ تاجرٍ من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كلِّ تاجرٍ، فيُعطَىٰ المُلكَ بيمينه، والخُلدَ بشماله، ويوضَع علىٰ رأسه تاج الوقار، ويُكسَىٰ والداه حُلَّتين، لا تقوم لهم الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب، أَنَّىٰ لنا هذا؟ فيقال: بتعليم ولَدِكُما القرآن.**

**وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأْ وارقَ في الدرجات، ورتِّل كما كنتَ تُرتِّلُ في الدنيا، فإن منزِلَك عند آخر آيةٍ معَكَ**»[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، أن رسول الله ﷺ قال:

«**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب حَلِّهِ، فيُلبَسُ تاجَ الكرامة، ثم يقول: يا رب زِدْهُ، فيُلبَسُ حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضىٰ عنه، فيقال له: اقرأْ، وارقَ، ويُزَادُ بكل آيةٍ حسنةً**»[2].

* **وفي توضيح معناه أقول:**

روىٰ أبو عثمان سعيد بن منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧هـ)، وأبو بكر بن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٥هـ)، عن الضحاك بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

«يا أيها الناس، علِّموا أولادكم وأهاليكم القرآن، فإنه من كَتب الله عَزَّوَجَلَّ له من مسلم أن يدخل الجنة إلا قيل له: اقرأ، وارتق في درج الجنة حتىٰ ينتهي إلىٰ علمه من القرآن».

---

(١) حسنه الألباني، انظر: «السلسلة الصحيحة»، حديث رقم: (٢٨٢٩).

(٢) حسنه الألباني، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٢ / ١٦٤)، الحديث رقم: (١٤٢٥).

**قال المحقق:** «الحديث سنده صحيح إلىٰ قائله الضحاك، وقد صحَّ معناه مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ كما سيأتي، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ... متابعًا لسعيد، فقال: ...»[1].

**قال العلامة الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٤٢٠هـ):** «واعلم أن المراد بقوله: «صاحب القرآن»، حافظه عن ظهر قلب علىٰ حد قوله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله** ..»، أي: أحفظهم، فالتفاضل في درجات الجنة إنما هو علىٰ حسب الحفظ في الدنيا، وليس علىٰ حسب قراءته يومئذٍ واستكثاره منها كما توهَّم بعضهم، ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون حفظه لوجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وليس للدنيا والدرهم والدينار، وإلا فقد قال ﷺ: «**أكثر منافقي أمتي قراؤها**»»[2].

وأثر الضحاك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صريح في الدلالة، ولكن: الله المستعان، كيف سنقنع به من لم تقنعه أحاديث رسول الله ﷺ الحاثة علىٰ حفظ القرآن، والمبيِّنة لفضله، فأقل ما سيقال بأن الضحاك قد خالف من هو أكبر منه سنًّا وعلمًا[3]، وهو ابن مسعود، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين!!.

*** وإكمالاً للوجه الأول أقول:**

جاء في صحيح مسلم وغيره، عن عِيَاض بنِ حِمَارٍ المُجَاشِعِيِّ، أن رسول الله ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ،**

(١) سنن سعيد بن منصور (٢ / ٥٩).

(٢) السلسلة الصحيحة (٥ / ٢٨٤).

(٣) ولكن يكفينا أن نعلم بأن الأمر ثابتٌ عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لا كما يزعم أصحاب القول الجديد المحدَث!!.

وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَبْتَغُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً، وَالْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَىٰ لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ، وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ».

وفيه: «إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ».

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**: «والاعتماد في نقل القرآن علىٰ حفظ القلوب لا علىٰ المصاحف، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن ربي قال لي أن قُم في قريشٍ فأَنذِرهُم. فقلت: أي رب! إذًا يثلَغوا رأسي** - أي يشدَخوا - **فقال: إني مُبتَلِيكَ ومُبتَلٍ بك، ومُنْزِلٌ عليك كتابًا لا يَغسِلُه الماء، تقرؤه نائمًا ويقظانًا، فابعَثْ جندًا أبعَثْ مِثْلَيْهِمْ، وقاتل بمن أطاعَك من عصاك، وأنفِقْ أُنفِقْ عليك»**.

فأخبر أن كتابه لا يحتاج في حفظه إلىٰ صحيفةٍ تُغسَل بالماء؛ بل يقرؤه في كل

حال كما جاء في نعت أمته: «أناجيلهم في صدورهم»، بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرأونه كله إلا نظرًا لا عن ظهر قلب.

وقد ثبت في الصحيح أنه جمع القرآن كله علىٰ عهد النبي ﷺ جماعةٌ من الصحابة، كالأربعة الذين من الأنصار، وكعبد الله بن عمرو، فتبين بما ذكرناه أن القراءات المنسوبة إلىٰ نافع وعاصم ليست هي الأحرفَ السبعةَ التي أُنزِل القرآن عليها، وذلك باتفاق علماء السلف والخلف.

وكذلك ليست هذه القراءاتُ السبعةُ هي مجموعَ حَرفٍ واحدٍ من الأحرف السبعة التي أُنزِل القرآن عليها باتفاق العلماء المعتبَرِين؛ بل القراءات الثابتة عن أئمة القراء - كالأعمش ويعقوب، وخلف وأبي جعفر يزيد بن القعقاع، وشيبة بن نصاح ونحوهم - هي بمنزلة القراءات الثابتة عن هؤلاء السبعة عند من ثبت ذلك عنده، كما ثبت ذلك.

وهذا أيضًا مما لم يَتنازع فيه الأئمة المتبوعون من أئمة الفقهاء والقراء وغيرهم، وإنما تنازع الناس من الخلف في المصحف العثماني الإمام الذي أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، والأمة بعدهم، هل هو بما فيه من القراءات السبعة، وتمام العشرة، وغير ذلك، هل هو حرف من الأحرف السبعة التي أُنزِل القرآن عليها؟ أو هو مجموع الأحرف السبعة، علىٰ قولين مشهورين. والأول قول أئمة السلف والعلماء، والثاني قول طوائف من أهل الكلام والقراء وغيرهم، وهم متفقون علىٰ أن الأحرف السبعة لا يخالف بعضها بعضًا خلافًا يتضاد فيه المعنىٰ ويتناقض؛ بل يصدق بعضها بعضًا كما تصدق الآيات بعضها بعضًا ...

**إلىٰ أن قال:** فإن أصحاب رسول الله ﷺ تَلقَّوا عنه ما أمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظِه ومعناهُ جميعًا، كما قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِي - وهو الذي روىٰ عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»؛ كما رواه البخاري في صحيحه، وكان يُقرِئُ القرآنَ أربعين سنة - قال: حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

**ولهذا دخل في معنىٰ قوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»؛** تعليم حروفه ومعانيه جميعًا؛ بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان، كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان[1].

**وفي الصحيحين عن حذيفة قال:** حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيتُ أحَدَهُما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «**أن الأمانة نزلت في جَذْرِ قلوب الرجال ونَزَل القرآن**»، وذكر الحديث بطوله، ولا تتسع هذه الورقة لذكر ذلك. وإنما المقصود التنبيه

(١) وهذا في زمانهم، ولم نجد منهم من يَمنَع من حفظ القرآن أو يُزهِّد فيه، كما هو صنيع أصحاب القول الجديد المُحدَث، وإنما كل ما في الأمر أنهم وجَّهوهم لِمَا هو أفضل، وهذا واضحٌ في قولهم: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان»، فأثبتوا لهم تَعلُّم الإيمان بعد تَعلُّم القرآن، ولم ينفوه عنهم بالكلية، وإنما وجَّهوهم لِمَا هو أفضل، ومن الواضح جدًّا أن المراد بهذا العلم السابق لحفظ القرآن؛ إنما هو علم التوحيد والعقيدة وما يحتاج العبد معرفته والعلم به ليصحح به عبادته لله تبارك وتعالىٰ، وليس المراد به الجمع بين حفظ القرآن وتَعلُّم تفسيره، وإلا فلا، كما هي دعوىٰ هذه «المجموعة»؛ أصحاب القول الجديد المُحدَث، والله المستعان!!.

علىٰ أن ذلك كلَّه مما بلَّغه رسول الله ﷺ إلىٰ الناس.

وبلَّغنا أصحابه عنه الإيمان والقرآن، حروفَه ومعانيه، وذلك مما أوحاه الله إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، وتجوز القراءة في الصلاة وخارجها بالقراءات الثابتة الموافقة لرسم المصحف، كما ثبتت هذه القراءات، وليست شاذة حينئذ. والله أعلم»[(١)].

**والشاهد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**أولاً**: أن الاعتماد في نقل القرآن علىٰ حفظ القلوب لا علىٰ المصاحف، وأنه لا يحتاج في حفظه إلىٰ صحيفةٍ تُغسَلُ بالماء؛ وإنما يُحفظ في الصدور، كما جاء في نعت هذه الأمة: «أناجيلهم في صدورهم»، بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرأونه كله إلا نظرًا، لا عن ظهر قلب.

**ثانيًا**: أن القرآن قد حفظه كله علىٰ عهد النبي ﷺ جماعةٌ من الصحابة، ثم مثَّل هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببعضهم، فقال: كالأربعة الذين من الأنصار، وكعبد الله بن عمرو، وهذا ذَكَرَه للتمثيل، ولم يُرِد به الحصر، كما هو ظاهر.

**ويُؤكِّده ما يأتي:**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**: «وعثمان جمع القرآن كله بلا ريب، وكان أحيانًا يقرؤه في ركعة[(٢)]، وعليٌّ قد اختُلِف فيه: هل حفظ القرآن

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣ / ٤٠٠).

(٢) وهذا قولٌ لا يرتضيه أصحاب القول الجديد المحدَث، وفي التشويش عليه وعلىٰ ما يشبهه من أقوال، قال قائلهم: «سؤال علمي: هل ثبت بأسانيد صحيحة أو حسنة أن العشرة المبشرين بالجنة كانوا يحفظون القرآن، لا نريد فتاوىٰ أو أقوال لبعض العلماء، أسانيد فقط»!!.

كلَّه أم لا؟»[١].

**وقال:** «والقرآن تلقَّته الأمة منه حِفظًا في حياته، وحفظ القرآن جميعه في حياته غير واحدٍ من أصحابه، وما من الصحابة إلا من حفظ بعضه، وكان يحفظ بعضهم ما لا يحفظه الآخر، فهو جميعه منقولٌ سَماعًا منه بالنقل المتواتر، وهو يقول إنه مبلغ له عن الله وهو كلام الله لا كلامه.

وفي القرآن – ما يبين أنه كلام الله – نصوص كثيرة، وكان الذين رأوا محمدًا ﷺ، ونقلوا ما عاينوه من معجزاته وأفعاله وشريعته، وما سمعوه من القرآن وحديثه ألوفًا مؤلفة أكثر من مائة ألف رأوه وآمنوا به»[٢].

**وقال:** «والقرآن المنقول بالتواتر لم يكن الاعتماد في نقله علىٰ نسخ المصاحف، بل الاعتماد علىٰ حفظ أهل التواتر له في صدورهم.

ولهذا إذا وُجِد مصحفٌ يُخالفُ حِفظَ الناس أصْلَحُوه، وقد يكون في بعض نسخ المصاحف غلط، فلا يُلتفَتُ إليه، مع أن المصاحف التي كتبها الصحابة قد قيَّد الناس صورةَ الخَطِّ ورَسْمِه، وصار ذلك أيضًا منقولاً بالتواتر، فنقلوا بالتواتر لفظ القرآن حفظًا، ونقلوا رسم المصاحف أيضًا بالتواتر.

ونحن لا ندَّعي اتفاق جميع نسخ المصاحف كما لا ندَّعي أن كل من يحفظ القرآن لا يغلط، بل ألفاظه منقولة بالتواتر حفظًا ورسمًا، فمن خرج عن ذلك علم الناس أنه غَلِطَ لمخالفته النقل المتواتر»[٣].

---

(١) منهاج السنة (٨/ ٢٢٩).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٢١).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٤٢٣).

**وقال**: «فإن نَقَلَةَ آياتِ محمدٍ ﷺ غيرِ القرآن أضعافُ أضعافِ نقلةِ التوراة والإنجيل فضلاً عن غيرهما من أخبار الأنبياء، فإن التوراة لم تكن جميعُها محفوظةً لعموم بني إسرائيل، كما يَحفَظُ القرآنَ عامَّةُ المسلمين»(١).

* هذه أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب، فعجبًا لمن يبحث له عن قولٍ وينشره ليُعارض به كل هذه الأقوال الثابتة عنه!!.

ثم كون القرآن قد حفظه جَمعٌ من الصحابة، أمرٌ قد ثبتت به السنة، فليس هو محصورًا علىٰ عدد معين منهم، ولا أن من لوازمه فهم كل آيةٍ منه، أو تَعلُّم تفسيرها، كما يتوهَّم البعض، إذ لا قائل بأن حفظ القرآن وفهمه أو تَعلُّم تفسيره متلازمان، لا ينفع أحدهما إلا بالآخر، ولا أن من لوازم حفظ القرآن فهمه، أو تَعلُّم تفسيره، ومَن ذهب إلىٰ هذا القول، وقال به، واعتقده؛ فليأتنا بقائله صراحةً، وليَدَع فهمه واستنباطه لنفسه، فلسنا بحاجةٍ إليه، وفي أيدينا نصوص الكتاب والسنة، وآثار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وما جرىٰ عليه عمل السلف والأئمة إلىٰ يومنا هذا، وكتب التراجم تشهد بذلك، وسيأتي ذكر شيءٍ منها.

بل إن القول بأن من لوازم حفظ القرآن فهمه، أو تَعلُّم تفسيره؛ إحداثٌ في الدين، وبدعةٌ عصرية، لا قائل بها علىٰ مر العصور، كيف لا!! وحفظ القرآن سنةٌ ومستحب، وهو من فروض الكفاية، وكذلك فهمه وتفسيره سنةٌ ومستحب، وهو من فروض الكفاية أيضًا.

فإلزام من أراد أن يحفظ القرآن أو شيئًا منه بفهمه، أو تَعلُّم تفسيره؛ وإيجاب هذا الأمر عليه، إلزامٌ للأمة بما لم يُلزمهم به الله عَزَّوَجَلَّ، ولا رسوله ﷺ، وهو

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٣٥٤).

خلاف ترغيبهم بالفهم وتَعلُّم التفسير لكونه مستحبًّا، ولكونه إذا جُمع مع الحفظ صار الحفظ أكمل وأتم.

**قال العلامة عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٤٢٠هـ)**: «المشروع للمؤمن والمؤمنة العناية بالقرآن، والحرص علىٰ حفظ ما تيسر منه، لكن لا يجب علىٰ المكلف إلا الفاتحة، لأنها ركن الصلاة، هي الواجبة، ركن الصلاة الفاتحة، الحمد، يجب علىٰ كل مؤمن ومؤمنة أن يحفظها، وإذا تيسر له أن يحفظ سورًا من القرآن، من المفصل حتىٰ يقرأ مع الفاتحة، فهذا سنة مؤكدة، جزء عم، أو جزء تبارك، أو ما تيسر من ذلك، هذا مطلوب، سنة، مشروع له أن يعتني بهذا الشيء، لكن الواجب قراءة الفاتحة، وإذا تيسر له حفظ القرآن كله، فهذه نعمة عظيمة، وسنة فيها خير كثير، لكن لا يلزم الناس حفظ القرآن، فرض كفاية، يجب أن يكون فيه من يحفظه، لكن لا يلزم فلان أو فلان حفظ القرآن، إنما يُشرع له ذلك، أو ما تيسر منه، كجزء عم أو المفصل كله، من «ق» إلىٰ آخر القرآن، هذا يسمىٰ المفصل، يُشرع حفظ هذا المفصل، إذا تيسر ذلك، أو حفظ ما تيسر منه، جزء عم، نصف جزء عم، ما تيسر من السور، حتىٰ يقرأ مع الفاتحة بعض السور، أما الواجب فالفاتحة ...»[١].

**ولعل أصحاب هذا المذهب الجديد يقولون**: نحن لم نقل بهذا القول، ولم نقصده؟.

**فأقول جوابًا علىٰ ذلك**: كيف لا!! وقد جعلتم حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه مخالفًا لهدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وخروجًا عن جماعتهم!!.

---

(١) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٢٦ / ١٣٧).

**وذلك يعني**: أن من لوازم حفظ القرآن عندكم تَعلُّم التفسير، وفهم المعاني، وإلا فلا!!.

**بل يلزم من ذلك**: أنه وإن كان حفظ القرآن - ابتداءً - سنةً ومستحبًّا عندكم، إلا أن العبد إذا عزم علىٰ حفظه، صار الفهم والتفسير واجبًا في حقه، فإن لم يجمع بين الأمرين وقع في المحظور، وخالف الصحابة، وخرج عن هديهم، وعن جماعتهم!!.

هذا لازم قولكم، وإن قلتم بأننا لا نريد هذا الفهم ولا نقصده، وإلا؛ فكيف يكون مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم؛ لو لم يكن الأمر كذلك عندكم، وهذا أمرٌ لا يُنكره إلا مكابر!!.

**ثم أقول**: من أين لكم أن الصحابة كلهم كانوا لا يتجاوزون العشر آيات أو أكثر أو أقل إلا وقد تعلموا العلم والعمل جميعًا، وهو أمرٌ يصعب إثباته، ولا يستطيع أحدٌ أن يجزم به، خاصةً مع ما سيأتي ذكره من أحاديث وآثار، ومنها ما يخص حفظ الصغار منهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ومن ادَّعىٰ غير ذلك فهو مكابر، وليُثبِت لنا إجماع الصحابة علىٰ أن حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه مخالفٌ لهديهم، وخارجٌ عن جماعتهم، ولكن بنصوصٍ وأدلةٍ واضحة، تُصرِّح بذلك، لا أن يأتينا بفهمه هو، أو بما يدل علىٰ حثِّهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ المسلمين علىٰ ما هو أكمل وأتم لمن أراد أن يحفظ القرآن، ثم يجعله هو واجبًا يُضلِّل به مُخالِفَه!!.

**وها هنا حديثان أدلِّل بهما علىٰ المقصود:**

**الحديث الأول**: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: «**مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظٌ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه**

**شديد فله أجران**»، وهو في الصحيحين.

**والحديث الثاني**: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»، وهو عند مسلم.

ولننظر يا رعاكم الله؛ ما الذي فهمه العلماء من هذين الحديثين؛ وفي أزمنة مختلفة، وكيف نطقوا بعبارات متفقة في معناها؛ مما يجعلنا علىٰ يقين من أنهم قد أخذوا من مشكاة واحدة.

ثم إن عرفنا أقوالهم؛ فمَن الأولىٰ بأن نعتد بقوله وبفهمه، أهُم هؤلاء الأئمة والعلماء، أم هي هذه «المجموعة»؛ أصحاب هذا القول الجديد المحدَث؟!!.

* وفي توضيح هذا الباب وما يعتقده الأئمة فيه، أقول:

**قال القاضي عياض** رحمه الله **(ت: ٥٤٤هـ)**: «وقوله: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة**»: يريد الملائكة، قال ابن الأنباري: سُمُّوا بذلك لأنهم ينزلون بوحي الله وما يقع به الصلاح بين الناس، فشُبِّهوا بالسفير الذي يُصلح بين الرجلين، وقال ابن عرفة: سُمُّوا بذلك لأنهم يسفرون بين الله وأنبيائه، وقيل: سفرة: كتبة، وسمىٰ الكاتب سافرًا لأنه يبين الشيء ويوضحه، والأسفار: الكتب، والماهر: الحاذق بالقراءة [قال الهروي]، وأصله الحذق بالسباحة، وقال المهلب: المهارة جودة القراءة بجودة الحفظ، ولا يتردد فيه، يسره الله عليه كما يسره علىٰ الملائكة فهو معها في مثل حالها من الحفظ وفىٰ درجة واحدة إن شاء الله.

**قال القاضي**: يحتمل - والله أعلم - أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة السفرة، لاتصافه بوصفهم بحمل كتاب الله، ويحتمل أن يكون المراد:

أنه عاملٌ بعمل السفرة وسالكٌ مسلكهم كما يقال: فلان مع بني فلان، إذا كان يرىٰ رأيهم ويذهب مذهبهم ...

**وقوله:** « «**والذي يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**» معنىٰ «**يتتعتع**»: أي يتردد في تلاوته عيًّا، والتعتعة في الكلام: العيُّ والتردد، وأصله الحركة. قال الإمام: يحتمل أن يريد بالأجرين الأجر الذي يحصل له في قراءة حروف القرآن وأجر المشقة التي تناله في القراءة. قال القاضي: ليس فيه دليل علىٰ أنه أعظم أجرًا من الماهر، ولا يصح هذا إذا كان عالمًا به، لأن من هو مع السفرة فمنزلته عظيمة وله أجور كثيرة، ولم تحصل هذه المنزلة لغيره ممن لم يمهر مهارته، ولا يُسوىٰ أجر من علم بأجر من لم يعلم، فكيف يفضله؟ وقد يحتج بهذا من يقول بفضل الملائكة علىٰ بني آدم»(١).

**وتدبر يا رعاك الله قوله:** «ولا يصح هذا إذا كان عالمًا به».

**وقوله:** «ولم تحصل هذه المنزلة لغيره ممن لم يمهر مهارته، ولا يُسوَّىٰ أجر من علم بأجر من لم يعلم».

ففي كليهما قد فَرَّقَ بين الحفظ المجرد عن الفهم وتَعلُّم التفسير، وبين من جمع بين الحفظ والفهم وتَعلُّم التفسير، فتدبَّر!!.

**وقال ابن الملقن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٨٠٤هـ):** «ومعنىٰ (مَثَل): صفته؛ كقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]، كأنه قال: صفة الذي يحفظ القرآن كأنه مع السفرة فيما يستحقه من الثواب وفي قراءة القرآن، و «السفرة» سلف أيضًا. و «البررة»: المطيعون من البر، هو الظاهر، فيكون للماهر بها في الآخرة

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٦٦).

منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله. ويجوز أن يكون المراد أنه عاملٌ بعمل السفرة وسالكٌ مسلكهم.

**وقوله**: «فله أجران» بتعاهده قراءته ومشقته، أي: من حيث التلاوة والمشقة. قال عياض وغيره: وليس معناه أنه يحصل له من الأجر أكثر من الماهر، بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا لِمَا سلف، من أنه مع السفرة ولم يذكر خبره، وكيف يلحق به من لم يُعن بالقرآن ولا بحفظه وإتقانه، وقيل: هو ضعف أجر الذي يقرأ حافظًا؛ لأن الأجر علىٰ قدر المشقة»[1].

**وقال العلامة الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٢هـ)**: « «**الماهر بالقرآن**» الحاذق به الذي لا يتوقف ولا يشق عليه قراءته لجودة حفظه وإتقانه ورعاية مخارج حروفه ...

فسَّره بهذا التفسير، ثم نقل عن القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما فيه بيان أن الأمر يعم الأمرين؛ الحفظ والفهم، فقال:

**وقال القاضي**: الماهر بالقرآن حافظ له أمين عليه يؤديه إلىٰ المؤمنين، يكشف لهم ما التبس عليهم: معدود من عدد السفرة، فإنهم الحاملون لأصله الحافظون له ينزلون به علىٰ رسل الله، يؤدون إليهم ألفاظه، ويكشفون لهم معانيه، «**والذي يقرؤه ويتعتع**» من التعتعة في الكلام: التردد فيه لحصرٍ أو عيٍّ أو سوء حفظ، «**وهو عليه شاق، له أجران**»: أجر لقراءته وآخر لمشقته، ولا يلزم أنه أفضل من الماهر؛ لأن كون الماهر مع السفرة أفضل من الأجرين»[2].

ثم قد جاء من النصوص والآثار ما يدل دلالةً واضحةً علىٰ أن جمعًا من

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٣ / ٤٩٨).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠ / ٤٦١).

الصحابة قد حفظوا القرآن، وأنه لا يمكن لأحدٍ حصرهم، وإن قالوا قد حفظه قليلٌ منهم، فمقصودهم بالنسبة لعددهم، فهي مسألة نسبة وتناسب، كما يقال، فالمائة في العشرة آلاف قليلون، والألف في المائة ألف قليلون، والمليون في المائة مليون قليلون، وهكذا.

**وفي الصحيحين عن أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال:** «جمع القرآن علىٰ عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو زيد».

**وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال:** «مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد. قال ونحن ورثناه».

فذكر أبا الدرداء بدلاً من أُبَيِّ بن كعب، فازدادوا به واحدًا.

**وفي الصحيحين عن مسروق قال:** ذكروا ابن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «**استقرئوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولىٰ أبي حذيفة وأُبَيِّ بن كعب ومعاذ بن جبل**».

**قلت:** ساق ابن حبان هذا الأثر مُبوِّبًا عليه بقوله: «ذكر الأمر بأخذ القرآن عن رجلين من المهاجرين ورجلين من الأنصار».

وظاهره كما هو ملاحظ، مخالف لِمَا ذكره أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أن القرآن قد جمعه علىٰ عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار، مما يدل علىٰ أن العدد نفسه غير مراد، وأن الحفظ ليس محصورًا علىٰ هؤلاء الأربعة، أو غيرهم.

ومن تتبع الآثار علم أنه لا خلاف بين الصحابة في ذلك، وأن الحصر غير مراد، وهذا أمر ظاهر لكل من أنصف من نفسه وفهم الخطاب، وإنما الخلاف

عند من تعنَّت وضرب الأقوال ببعضها ليُقوِّي مذهبه، والله المستعان!!.

وفي صحيح مسلم وغيره، عن أنس بن مالك قال: «جاء ناس إلىٰ النبي ﷺ فقالوا أنْ ابعث معنا رجالاً يُعلمونا القرآن والسنة. فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصُّفَّة وللفقراء فبعثهم النبي ﷺ إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان. فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا - قال - وأتىٰ رجل حرامًا خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتىٰ أنفذه. فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **إن إخوانكم قد قُتِلوا وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا**».

وهنا ازدادوا سبعين قارئًا.

وفي صحيح البخاري عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وكان ممن يكتب الوحي قال: «أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرىٰ أن تجمع القرآن. قال أبو بكر: قلت لعمر كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتىٰ شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأىٰ عمر، قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من

جمع القرآن. قلت كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتىٰ وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨]. إلىٰ آخرهما وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتىٰ توفَّاه الله، ثم عند عمر حتىٰ توفَّاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر».

**وعند أحمد في المسند وفيه:** «أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل إليه مقتل أهل اليمامة فإذا عمر عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر بأهل اليمامة من قراء القرآن من المسلمين وأنا أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب قرآن كثير لا يُوعَىٰ وإني أرىٰ أن تأمر بجمع القرآن».

*** والشاهد من هذا الحديث:**

- **قوله:** «وإني أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن».
- **وقوله:** «إن القتل قد استحر بأهل اليمامة من قراء القرآن من المسلمين وأنا أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب قرآن كثير لا يُوعَىٰ».

وفيه دليل علىٰ كثرتهم، والمقصود بالقراء هنا يقينًا حَفَظَة القرآن، الذين يحفظونه في صدورهم عن ظهر قلب، وإلا فأكثر الصحابة يفهمون معناه وإن لم يحفظوا ألفاظه، كما أشار إلىٰ ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، كما سيأتي.

بل كيف يضيع معناه، وفيهم أبو بكر وعمر، وغيرهما من كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين، وإنما خشي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضياع ألفاظه؛ لتفرقها بينهم، فيكون مع أحدهم

ما لا يكون مع الآخر، كما سبق عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «وما من الصحابة إلا من حفظ بعضه، وكان يحفظ بعضهم ما لا يحفظه الآخر».

وفيما يخص فهم الصحابة للقرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ):

«**فلهذا يحتاج المسلمون إلىٰ شيئين:**

**أحدهما**: معرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة، بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ[١]، فإن الرسول لَمَّا خاطبهم بالكتاب والسنة عرَّفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلَّغوا تلك المعاني إلىٰ التابعين أعظم مما بلَّغوا حروفه، فإن المعاني العامة التي يحتاج إليها عموم المسلمين، مثل معنىٰ التوحيد، ومعنىٰ الواحد، والأحد، والإيمان، والإسلام، ونحو ذلك، كان جميع الصحابة يعرفون ما أحب الله ورسوله ﷺ من معرفته[٢]، ولا يحفظ القرآن كله

---

(١) فالأمر ليس محصورًا في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كما هو مذهب «مجموعة النهج - غير - الواضح» الجديد، وقاعدتهم الجديدة: «ائتني بقول ثابت عن صحابي واحد»، بل التابعون وأتباع التابعين ومن سار علىٰ دربهم وسلك سبيلهم من علماء أهل السنة والجماعة أقوالهم معتبرة في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وهم حَمَلَة هذا العلم الصحيح، والأمناء عليه، وعلىٰ نقله!!.

(٢) وهذا هو المقصود من قول الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان»، وليس المقصود منه منع المسلمين من حفظ القرآن ما لم يقف الواحد منهم عند كل آية منه فيتعلم تفسيرها مع حفظه لها، وإلا كان مخالفًا لهدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وخارجًا عن جماعتهم!!.

إلا القليل منهم، وإن كان كل شيء من القرآن يحفظه منهم أهل التواتر ...»[١].

- **وقوله**: «فتتبعت القرآن أجمعه من ... وصدور الرجال».

- **وقوله**: «حتىٰ وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره».

وفي هذا دليل واضح علىٰ أن من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من يَحفظ من القرآن ما لا يَحفظه الآخر.

- وأما ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ من أن أصحاب النبي ﷺ قد تلقَّوا عنه ما أمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظِه ومعناهُ جميعًا، فذلك يعني أنهم نقلوا لنا ما تلقَّوه عن النبي ﷺ من ألفاظ القرآن ومعانيه، إذ بهم حفظ الله عَزَّوَجَلَّ هذا الدين، لا أن كل من حفظ القرآن منهم فإنما حفظه علىٰ طريقة ابن مسعود، إذ لم يكن يتعدىٰ الآية أو العشر آيات حتىٰ يتعلم تفسيرها ويعمل بها[٢].

**ومما يوضح ذلك قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يُفسَّر القرآن بالقرآن؛ فما أُجمِل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصِر من مكان فقد بُسِط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له؛ بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧ / ٣٥٣).

(٢) ومن المعلوم والمتقرر أن هذا الأمر إنما هو من فروض الكفاية، وليس فرضًا لازمًا علىٰ كل أحد منهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن ألزمهم بهذا الأمر أو نسبه إليهم وخَطَّأَ من لم يسلك سبيلهم في هذا الأمر، ولم يتابعهم عليه - كما هي دعوىٰ «مجموعة النهج - غير - الواضح»؛ أصحاب المذهب الجديد المُحدَث - فقد فرض علىٰ الصحابة وعلىٰ غيرهم من المسلمين ما لم يفرضه الله عَزَّوَجَلَّ، ولا رسوله ﷺ!!.

الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**ألا إنِّي أُوتِيت القرآن ومثله معه**»؛ يعني: السنة.

والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، لا أنها تُتلىٰ كما يُتلىٰ، وقد استدل الإمام الشافعي وغيره من الأئمة علىٰ ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلىٰ اليمن: «**بم تحكم؟** قال: بكتاب الله. قال: **فإن لم تجد؟** قال: بسنة رسول الله. قال: **فإن لم تجد؟** قال: أجتهد رأيي. قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: **الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله لِمَا يُرضي رسول الله**»، وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد جيد.

وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة، فإنهم أدرىٰ بذلك لِمَا شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولِمَا لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح؛ لاسيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، مثل: «عبد الله بن مسعود»، قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: حدثنا أبو كريب، قال أنبأنا جابر بن نوح، أنبأنا الأعمش عن أبىٰ الضحىٰ عن مسروق قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله

إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناوله المطايا لأتيته، وقال الأعمش أيضًا عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتىٰ يعرف معانيهن والعمل بهن.

ومنهم الحبر البحر «عبد الله بن عباس» ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن، ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»»[1].

**والشاهد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أن تفسير القرآن بالسنة مُقدَّمٌ علىٰ تفسيره بأقوال الصحابة.

وأن الصحابة درجات في العلم، وذلك قوله: «لاسيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، مثل: عبد الله بن مسعود».

وأن ما ذكره عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من أنهم لا يتجاوزون العشر آيات حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم ويعملوا بها، فإنما يذكره عن نفسه، وعمن عرف منه ذلك، أي عن بعضهم، لا عن جميعهم، وبيان ذلك في قول شيخ الإسلام نفسه، إذ ذكر ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ولم يذكره بطريقة ابن مسعود في الحفظ، وإنما ذكره بأنه قد نال ما ناله من العلم بالقرآن ببركة دعاء النبي ﷺ له بقوله: «**اللهم فَقِّهه في الدين وعَلِّمه التأويل**».

ولو أن حُفَّاظ الصحابة جميعًا نالوا الحفظ والعلم بالقرآن بطريقة ابن مسعود؛ لَمَا تعدَّاها ابن تيمية ولا غيره من الأئمة إلىٰ غيرها، ولكان وصفًا ملازمًا - عند أهل السنة والجماعة - لكل حافظ للقرآن.

**بل أقول**: كيف نوفق بين قولكم واستدلالكم هذا، وبين ما جاء عن ابن

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣ / ٣٦٣).

مسعود نفسه؛ رضي الله عنه وأرضاه؟!!.

**فقد بوَّب الحافظ ابن حبان رحمه الله في صحيحه بقوله:** «ذكر عناية عبد الله بن مسعود لحفظ القرآن في أول الإسلام»، ثم ذكر تحته عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

«قرأت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعةً وسبعين سورة، وإن زيدًا له ذؤابتان يلعب مع الصبيان».

**قال الألباني:** «صحيح لغيره».

وقد ساق الإمام الألباني رحمه الله (ت: ١٤٢٠هـ) هذا الأثر بألفاظ مختلفة:

**الأول:** «خطبنا ابن مسعود فقال: كيف تأمروني أقرأ علىٰ قراءة زيد بن ثابت بعدما قرأت من فيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة، وإن زيدًا مع الغلمان له ذؤابتان؟!».

**الثاني:** «علىٰ قراءة من تأمروني أقرأ؟ لقد قرأت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بضعًا وسبعين ...» الحديث.

**الثالث:** «قرأت من فيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ..» الحديث.

**الرابع:** «أخذت من فيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة، ولا ينازعني فيها أحد».

**الخامس:** «والله! لقد أخذت من فيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة؛ والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم».

وكل هذه الآثار قد ذكرها الألباني رحمه الله بأسانيد مختلفة، ثم صحَّح أو حسَّن هذه الأسانيد[١].

وفي هذا دليل واضح علىٰ أن ما ذكره أبو عبد الرحمن السُّلَمي رحمه الله عن

---

(١) انظر: «السلسلة الصحيحة»، الحديث رقم: (٣٠٢٧).

ابن مسعود وغيره، إنما أراد به ما هو أكمل وأتم، ولم يُرِد به المنع من حفظ القرآن لمن لا يجمع معه تَعلُّم التفسير.

**ثم أقول**: كيف نوفق بين قولكم واستدلالكم هذا، وبين ما جاء عن ابن مسعود نفسه أيضًا؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه؟!!.

**فقد بوَّب الحافظ المنذري** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٦٥٦هـ) بقوله**: «الترهيب من نسيان القرآن بعد تعلمه، وما جاء فيمن ليس في جوفه منه شيء»، ثم ذكر تحته عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

«إن أصفر البيوت بيت ليس فيه شيء من كتاب الله».

**قال الألباني**: «حسن لغيره موقوف».

وفي هذا توجيه واضح من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحفظ القرآن، أو لحفظ شيء منه، وأنْ لا تبقىٰ القلوب خاوية منه.

**وذلك يعني**: أن القائلين بهذا المذهب الجديد المحدَث؛ الذي يصد المسلمين عن حفظ القرآن - بدعوىٰ أنهم ليس لهم أن يحفظوه إلا مع الفهم وتعلم التفسير، أما حفظ اللفظ دون فهم معناه وتعلم تفسيره فلا - لو كلف الواحد منهم نفسه أن يجمع أقوال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه، وأن ينظر فيها ويتدبرها تدبر من يريد الحق، لا بحث من تتولد لديه الفكرة، ثم يجد ويجتهد في البحث عما يخدمها من آثار، ثم تتضافر جهود «المجموعة» علىٰ ذلك، حتىٰ إذا ظفروا بشيء يخدم فكرتهم - حسب ظنهم - فهموه بفهم مستقل، لم يسبقهم إليه أحد من علماء السنة، لا في القديم، ولا في الحديث، ولم يقل به أحد من الأئمة علىٰ مر العصور وإلىٰ يومنا هذا، مما يعني أنهم يسيرون علىٰ الطريقة البدعية: «اعتقد ثم

استدل»، إذ لو لم يكن الأمر كذلك؛ لجمعوا الأدلة والآثار ابتداءً، قبل أن ينطقوا ببنت شفة، ولَنَظروا وتدبَّروا أقوال العلماء فيها، وكيف فهموها، ولَمَا استقلوا بفهمها عن فهم العلماء، وهذا هو الواجب عليهم، وعلىٰ أمثالهم، خاصة مع وجود الاختلاف، ووجود مَن قد نبَّههم علىٰ خطئهم، إذ لو فعلوا ذلك، وسلكوا هذا المسلك الذي أوجبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم؛ لَما خرجوا لنا بمثل هذا القول الشاذ، المخالف لِمَا عليه أهل السنة والجماعة علىٰ مر العصور!!.

**فقول أبي عبد الرحمن السُّلَمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا».

ليست هذه المجموعة[1] هي أول من يعرفه أو يسمع به ويقف عليه، بل سبقهم إليه أئمة، ولم يقل أحد منهم بمثل هذا القول الذي خرجت به علينا هذه «المجموعة»!!.

ثم هو قول إذا جمعناه مع هذه الآثار التي جاءت عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومع ما جاء عن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أنه قد حفظ القرآن علىٰ كبر سنه في مدة قليلة؛ كما سيأتي، وتأملنا استدلالات الأئمة به؛ ظهر لنا أن الأئمة قد يستدلون به في إثبات عدة أمور، ليس قول هذه «المجموعة» منها.

**❊ فمن ذلك:**

- **الأمر الأول:** بيان أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قد تلقوا عن النبي ﷺ علم الشرع

---

(١) «مجموعة النهج - غير - الواضح».

كاملاً، لفظه ومعناه، ثم نقلوه لمن بعدهم علىٰ أكمل وجه.

- **الأمر الثاني**: الرد علىٰ أهل البدع الذين يشككون في آيات الصفات، ويزعمون بأنها غير مفسَّرة، فكأنهم يقولون لهم بمثل هذا الأثر: كيف لا!! وقد تلقىٰ الصحابة من النبي ﷺ لفظها، ولم يتعدوه حتىٰ فهموا معناه، وعملوا به.

- **الأمر الثالث**: حث المسلمين علىٰ تدبر آيات الله عَزَّوَجَلَّ وفهمها، وعلىٰ العمل بها، زيادة علىٰ الحفظ لمن أراد أن يحفظ، لكي يزداد أجرًا إلىٰ أجره.

وهذه الثلاثة أمور قد جمعها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)، فقال:

«... والصواب ما عليه أئمة الهدىٰ وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين أهل العلم والإيمان، والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا تُرَد بالشبهات، فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يُعرِض عنها فيكون من باب الذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم يخرون عليها صمًّا وعميانًا، ولا يَترُكُ تَدبُّرَ القرآن فيكون من باب الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني. فهذا أحد الوجهين وهو منعُ أنْ تكون هذه من المتشابه.

**الوجه الثاني**: أنه إذا قيل: هذه من المتشابه، أو كان فيها ما هو من المتشابه، كما نُقِل عن بعض الأئمة أنه سمَّىٰ بعض ما استدل به الجهمية متشابهًا، فيقال: الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله إما المتشابه وإما الكتاب كله كما تقدم، ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة ...

**وقال أيضًا**: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، فحض علىٰ تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيئًا؛

بل نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه مثل قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله، وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفه ما لم يتدبر لِمَا تدبر.

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قيل له: هل ترك عندكم رسول الله ﷺ شيئًا؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه، وما في هذه الصحيفة.

فأخبر أن الفهم فيه مختلف في الأمة، والفهم أخص من العلم والحكم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال النبي ﷺ: «**رُبَّ مبلغ أوعىٰ من سامع**»، وقال: «**بلِّغوا عني ولو آية**».

وأيضًا فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن؛ آيات الصفات وغيرها، وفسروها بما يوافق دلالتها وبيانها، ورووا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن، وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم، مثل: «عبد الله بن مسعود» الذي كان يقول: «لو أعلمُ أعلمَ بكتاب الله مني تبلُغُه آباطُ الإبل لأتيتُه». و «عبد الله بن عباس» الذي دعا له النبي ﷺ، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، كانا هما وأصحابهما من أعظم الصحابة والتابعين إثباتًا للصفات وروايةً لها عن النبي ﷺ، ومن له خبرة بالحديث والتفسير يعرف هذا، وما في التابعين أجل من أصحاب هذين السيدين، بل وثالثهما في علية التابعين من جنسهم أو قريب منهم ومثلهما في جلالته جلالة أصحاب زيد بن ثابت؛ لكن أصحابه مع جلالتهم ليسوا مختصين به، بل أخذوا عن غيره؛ مثل عمر وابن عمر وابن عباس.

ولو كان معاني هذه الآيات منفيًّا أو مسكوتًا عنه لم يكن ربانيُّو الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلامًا فيه.

ثم إن الصحابة نقلوا عن النبي ﷺ أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة، ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنه امتنع من تفسير آية.

**قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِي**: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل»»(١).

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ صراحةً علىٰ أن فهم كلام الله عَزَّوَجَلَّ وتعلم معانيه من تمام القراءة وكمالها، لا أنه لازم من لوازمها، مستدلاً علىٰ ذلك بقول أبي عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفسه، وذلك قوله:

«وكذلك لفظ «التلاوة»؛ فإنها إذا أُطلِقَت في مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]؛ تناولت العمل به كما فسَّره بذلك الصحابة والتابعون؛ مثل ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم، قالوا: يتلونه حق تلاوته، يتَّبعونه حق اتباعه، فيُحِلون حلاله ويُحرِّمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه.

**وقيل**: هو من التلاوة بمعنىٰ الاتباع كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢]؛ وهذا يدخل فيه من لم يقرأه.

**وقيل**: بل من تمام قراءته أن يفهم معناه ويعمل به، كما قال أبو عبد الرحمن

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣ / ٣٠٥).

السُّلَمِي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا»»(١).

ثم هب أن الله عَزَّوَجَلَّ أكرم كل من حفظ القرآن من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بفهم آياته، وبالعلم بتفسيرها، وتأويلها علىٰ أكمل وجه، حتىٰ نالوا الإمامة في ذلك، وصاروا جميعًا علماء في التفسير والتأويل، ثم نقلوه لمن بعدهم علىٰ أكمل وجه، فحفظ الله جَلَّ وَعَلَا بهم الدين، هل يلزم من ذلك أن نمنع الناس من حفظ القرآن، وأن نُزهِّدهم فيه، بحجة أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يحفظوا إلا وقد فهموا، وتعلموا، وعملوا، أو أنهم لم يحفظ القرآن منهم إلا القليل، وذلك أنهم قدَّموا العلم والفهم والتفسير علىٰ الحفظ؟!!.

هل يلزم ذلك ونحن نرىٰ النصوص تحث المسلمين علىٰ الحفظ، ونرىٰ الآثار تذكر لنا أن من الصحابة من حفظ القرآن في الصِّغر دون أن يستنكر حفظهم أحد، ونرىٰ تتابع الأئمة إلىٰ يومنا هذا علىٰ حفظ القرآن، وعلىٰ حث المسلمين كبارًا وصغارًا علىٰ حفظه؟!!.

لا شك أن الجواب: لا يلزم ذلك!!.

وقد جاء في السنة ما يوضح هذا المعنىٰ، وأن الصحابة لم يستنكروا علىٰ من حفظ القرآن صغيرًا، بل جعلوا له الإمامة في الصلاة، يؤم بحفظه الكبار.

ففي صحيح البخاري وغيره عن عمرو بن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

«قال لي أبو قلابة: ألا تلقاه فتسأله؟ قال: فلقيته فسألته، فقال: كنا بماءٍ مَمَرَّ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٦٧).

الناس، وكان يمر بنا الرُّكبان فنسألهم: ما للناس ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله، أوحىٰ إليه، أو أوحىٰ الله بكذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام وكأنما يُقَرُّ في صدري، وكانت العرب تَلَوَّمُ بإسلامهم الفتحَ، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقًّا، فقال: «**صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليَؤُمَّكُم أكثركم قرآنًا**». فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني لِمَا كنت أتلقَّىٰ من الرُّكبان، فقدَّموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليَّ بردةٌ كنت إذا سجدت تقلَّصَت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا اسْتَ قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصًا فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص».

وهذا يعني: أن الأصل في حفظ الصغار للقرآن أنه أمر ممدوح، وأن ما جاء من منع بعضهم، أو توجيهه لأن يجمع بين الحفظ والفهم، فلأحد سببين:

- إما حثًّا منهم له وتوجيهه لِمَا هو أكمل وأتم.
- وإما لظروف تخصه، فيكون لأمر له ملابساته، وليس هو حكمًا عامًّا.

ورحم الله الإمام أبا بكر أحمد بن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ)، إذ يقول:

«سألتَ عن السنة ما هي؟ والسنة اسمٌ جامعٌ لمعانٍ كثيرةٍ في الأحكام وغير ذلك، ومما اتفق أهل العلم علىٰ أن نسبوه إلىٰ السنة القول بإثبات القدر، وإن الاستطاعة مع الفعل للفعل، والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكلُّ طاعةٍ مع مطيعٍ فبتوفيق الله له، وكلُّ معصيةٍ من عاصٍ فبخذلان الله السابق منه

وله، والسعيد من سبقت له السعادة، والشقي من سبقت له الشقاوة، والأشياء غير خارجة من مشيئة الله وإرادته، وأفعال العباد من الخير والشر فِعلٌ لهم خَلقٌ لخالقهم، والقرآن كلام الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، تكلم الله به، ليس بمخلوق، ومن قال: مخلوقٌ ممن قامت عليه الحجة فكافر بالله العظيم، ومن قال مِن قبل أن تقوم عليه الحجة فلا شيء عليه، والإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وإثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، يراه أولياؤه في الآخرة نظر عيان كما جاءت الأخبار، وأبو بكر الصديق أفضل أصحاب رسول الله ﷺ بعده، وهو الخليفة خلافة النبوة، بويع يوم بويع وهو أفضلهم وهو أحقهم بها، ثم عمر بن الخطاب بعده علىٰ مثل ذلك، ثم عثمان بن عفان بعده علىٰ مثل ذلك، ثم علي بعده علىٰ مثل ذلك، رحمة الله عليهم جميعًا.

ثم شرع في ذكر شيءٍ من فضائلهم، إلىٰ أن قال في وصف عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

وتزوج ابنتي النبي ﷺ، ولم يجتمع ذلك لأحدٍ قط، ثم أَذْهَنُهُم ذِهنًا، وأَظْهَرُهُم عبادةً، حَفِظ القرآن علىٰ كِبَرِ سِنِّهِ في قِلَّةِ مُدةٍ، فكان يقوم به في ليلةٍ واحدة، ومن سخائه أن النبي ﷺ نَدَبَ إلىٰ جيش العُسرَة فجاء بألف دينار، ثم ألف، ثم ألف، ثم جهَّز جيش العسرة بأَجْمَعِ جِهَازِهِم»[(١)].

فرضي الله عن عثمان بن عفان الخليفة الراشد الذي حفظ القرآن علىٰ كِبَرِ سِنِّهِ في مُدَّةٍ قليلة، مما يعني أن طرق الحفظ عند الصحابة متعددة، وليست محصورة علىٰ طريقة واحدة.

* ومما لحافظ القرآن عن ظهر قلب من خصائص أيضًا زيادة علىٰ حديث عياض بن حمار المجاشعي.

---

(١) كتاب السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٣١).

- ما جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان سالم مولىٰ أبي حذيفة يَؤُم المهاجرين الأولين وأصحاب النبي ﷺ في مسجد قباء؛ فيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة».

**والسؤال**: بأي شيء نال هذا الفضل، حتىٰ قُدِّم علىٰ كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، أبحفظ القرآن أم بفهمه؟.

ورحم الله الإمام الألباني؛ إذ طبَّق هذا المعنىٰ عمليًّا، كما ذكر هو عن نفسه، وقد سئل:

هل يجوز قراءة القرآن بالمصحف في صلاة القيام؟.

**فأجاب**: «لا، ...

تصوَّروا أنفسكم الآن تُصَلُّون في عهد عمر صلاة القيام، من كان يَؤُمُّهم؟ أبيُّ بن كعب، ولذلك لابد لنا أن نوجد أُبيًّا، وهذه الطريقة - يعني القراءة من المصحف - لا تُوجِد أُبيًّا ولا نصف أبيٍّ، ولذلك من محاضرتي أُذَكِّر بالحديث المعروف ألا وهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**تعاهدوا هذا القرآن وتَغنَّوا به فوالذي نفس محمدٍ بيده إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من الإبل من عُقُلِها**».

تعاهدوا هذا القرآن؛ الذين يَؤُمُّون الناس في المساجد من المصحف ولا مؤاخذة؛ مع احترامي لأي إمام يَؤُم الناس من المصحف، هؤلاء لا أقول بأنهم كسالىٰ، أقول: علىٰ الأقل إنهم ما نفَّذوا هذا الأمر النبوي «**تعاهدوا هذا القرآن**»، ما معنىٰ تعاهدوا: مُبيَّنٌ في تمام الحديث، إذا لم يظل الحافظ مكررًا لِمَا يحفظه من القرآن ليلاً نهارًا، فسينفلت منه كما تنفلت الإبل الشاردة من عُقُلِها، من مرابطها، معروفة الإبل عند أصحاب الإبل بأن طبعها يُضرَب بها المثل فيقال:

أحقد من جمل، فهو شديد الحقد، وشديد الشرود؛ حتىٰ إنه ليقطع الحبل مهما كان متينًا، ولذلك قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يخاطب العرب أصحاب الإبل: إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من عُقُلِها، فإذا لم يُعنَ أفرادٌ من المسلمين، وهذا واجبٌ كفائيٌّ، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، يضطرون إلىٰ أن يلجأوا إلىٰ القراءة من المصحف، هل كان هكذا السلف الصالح؟ طبعًا لم يكونوا كذلك، إذًا لابد من أن نُوجِد طلبةً يحفظون القرآن، ويُحسِنون تلاوة القرآن، وبالتالي يَؤُمُّون الناس ولو كانوا أطفالاً، والمقتدون من ورائهم كانوا شيوخًا؛ لأن العبرة بالحافظ، وليس بالعالم، ولذلك أنا كثيرًا وتَرَونَني قد أشرفت علىٰ الثمانين أُصلِّي وراء الشباب، لأنهم أحفظ مني للقرآن؛ تطبيقًا لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأكبرهم سِنًّا**»، أين جئت أنا؛ في المرتبة الثالثة، «**فإن كانوا في السن سواء، فأقدمهم هجرة**»، إذًا يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فيجب أن يَؤُم القوم في صلاة التراويح أقرؤهم لكتاب الله، وأنا حين أقول هذا، أعلم أنه قد يكون هناك صبيان صغار يحفظون أكثر من رجالات كبار، ولكن قد لا يُحسِنون الصلاة، فيكون سلوك هذا الخط في تطبيق هذا الحديث وسيلة شرعية لتعليم بعض هؤلاء الأطفال الحُفَّاظ كيفية الصلاة؛ حتىٰ يُصَلُّوها مع الجماعة ويَؤُمُّون الناس وبصلاةٍ يُحسِنونها، كما أمر بها رسول الله ﷺ، وختامًا أُذَكِّر بحديث رجلٍ من صغار الصحابة اسمه عمر بن أبي سلمة[1]، أبوه أبو سلمة كان من أوائل الأنصار

(١) وليس هو المعني في هذه الرواية كما ظن الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنما المعني هنا هو: عمرو بن سلمة الجرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الذين آمنوا برسول الله ﷺ قبل هجرته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ المدينة، وكان هؤلاء الأنصار يذهبون إلىٰ مكة معتمرين للقاء الرسول ﷺ، وليتلقوا منه ما قد يكون قد نزل من أحكام شرعية جديدة، فسافر أبوه مرة ورجع هو وجماعة من كبار الأنصار، معهم حكم جديد علَّمهم الرسول إيَّاه، وهي: أن يُصَلُّوا جماعةً، وقد كانوا من قبل يُصَلُّون فُرادىٰ، فجاؤوا وهم يحملون حكمًا جديدًا، وعلَّمهم الرسول هذا الحديث: «**يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله**» إلىٰ آخر الحديث، قال عمر هذا: فنظروا في المدينة فلم يجدوا أقرأ مني، ولم يجدوا أحفظ مني، وعمره بين السابعة والتاسعة، هكذا جاءت الرواية، يعني بالكثير عمره تسع سنوات، قال: فقدَّموني أُصَلِّي بهم إمامًا، رجالات كبار بِلِحَىٰ يُصَلُّون وراء طفلٍ صغيرٍ ابن تسع سنين بالكثير، ومن طفولته أنه كان عليه كما جاء في الحديث شملة؛ يعني: إزار من قماش ثقيل خميل، فلما كان يسجد كان يرتفع هذا القماش من فوقه والنساء يُصَلِّين خلف الرجال كما هي السنة، فينكشف شيءٌ من عورته، فما كاد يُسَلِّم هذا الغلام من الصلاة وإذا بامرأةٍ تصيح من وراء الرجال: «استروا عنا است إمامكم»، قال: فاشتروا لي ثوبًا، فما فرحت بشيء فرحي بمثل فرحي بهذا الثوب، طفل مع ذلك أَمَّ الرجالات الكبار، فإذًا علينا أن نُعنَىٰ بحفظ القرآن، وأن نتشبَّه بسلفنا الصالح»[١].

**قلت**: رحم الله الإمام الألباني، فقد أتعب من بعده، إذ هو علىٰ جلالة قدره وعلو كعبه في العلم، يجعل نفسه في المرتبة الثالثة، فيقول:

«ولذلك أنا كثيرًا وتَرَونَني قد أشرفت علىٰ الثمانين أُصَلِّي وراء الشباب،

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٦٩٤).

لأنهم أحفظ مني للقرآن؛ تطبيقًا لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأكبرهم سِنًّا**»، أين جئت أنا؛ في المرتبة الثالثة».

بل ويُقدِّم من هو حافظٌ للقرآن ويجعله إمامًا اتباعًا للحديث، ودون تنطعٍ منه، ولا إلزامٍ لهذا الحافظ أن يتعلم التفسير، وإلا مُنِع من الإمامة!!.

أَضِف إلىٰ ذلك حثه رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ حفظ القرآن تشبهًا بالسلف الصالح، وعلىٰ رأسهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فهم أولىٰ من يدخل في هؤلاء السلف، وهذا خلاف ما يقرره أصحاب القول الجديد المُحدَث من إخراج حافظ القرآن عن هدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ما لم يَجمع بين الحفظ وتعلم التفسير.

وهذا يعني أن الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجعل حفظ القرآن هديًا للصحابة والسلف، دون أن يقيده بقيد أو شرط، وأصحاب القول الجديد المُحدَث يجعلون حفظ القرآن مخالفًا لهدي الصحابة، وخروجًا عن جماعتهم[1]، ما لم يلتزم حافظه بقيدهم الذي وضعوه، وبشرطهم الذي اشترطوه، وهو أن يحفظه علىٰ الطريقة المذكورة في أثر أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ!!.

---

(١) كثرت دندنة «مجموعة النهج - غير - الواضح» علىٰ لفظة «الصحابة»، وعلىٰ «هدي الصحابة»؛ وذلك أنَّ من إحداثاتهم الجديدة التي أحدثوها مع ما أحدثوه من مسائل وأقوال في السنوات الأخيرة؛ التفريق بين الصحابة وبين من جاء بعدهم من التابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم من الأئمة والعلماء، فالسلف عندهم هم الصحابة وحدهم دون من سواهم، والسلفية عندهم محصورةٌ في الصحابة دون من سواهم، فإذا قال قائلهم: أنا سلفي، فمراده الانتساب إلىٰ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أي: أسير علىٰ هدي الصحابة فقط، أما أئمة السنة من بعدهم، فلا!!، أئمة السنة من بعد الصحابة لا يدخلون في السلف عند هذه «المجموعة»، ولا يستحقون أن يكونوا سلفًا لهم!!.

– وما جاء في صحيح البخاري وغيره من حديث سهل بن سعد الساعدي: «أن امرأةً جاءت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله جئتُ لأَهَبَ لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعَّد النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ رأسه؛ فلما رأت المرأة أنه لم يَقضِ فيها شيئًا جلست، فقام رجلٌ من أصحابه؛ فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجةٌ فَزَوِّجنِيها، فقال: هل عندك من شيء، فقال: لا والله يا رسول الله، قال: اذهب إلىٰ أهلك فانظر هل تجد شيئًا، فذهب ثم رجع؛ فقال؛ لا والله يا رسول الله، ما وجدت شيئًا، قال: انظر ولو خاتَمًا من حديد، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله، ولا خاتَمًا من حديد، ولكن هذا إزاري – قال سهل: ما له رداءٌ – فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: ما تصنع بإزارك، إنْ لَبِسْته لم يكن عليها منه شيء، وإنْ لَبِسَتْه لم يكن عليك شيء، فجلس الرجل حتىٰ طال مجلسه ثم قام، فرآه رسول الله ﷺ مُوَلِّيًا فأمَر به فَدُعِي، فلما جاء، قال: ماذا معك من القرآن، قال: معي سورة كذا وسورة كذا؛ عَدَّها، قال: أتقرؤهن عن ظهر قلبك، قال: نعم، قال: اذهب فقد مَلَّكْتُكَهَا بما معك من القرآن».

فتدبَّروا يا رعاكم الله سنة نبيكم ﷺ وهديه، وتمسكوا بها، وذلك ظاهرٌ في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أتقرؤهن عن ظهر قلبك**»، فبهذا الحفظ نال ما نال.

– وما جاء في مستدرك الحاكم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلىٰ في ليلة بمائة آية لم يُكتب من الغافلين، ومن صلىٰ في ليلة بمائتي آية فإنه يُكتب من القانتين المخلصين**».

– وما جاء في صحيح ابن خزيمة وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قرأ بألف آية كُتب من المقنطرين**».

وقد ذكر الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ) ما يخدم هذا المعنىٰ بوضوح، حيث قال:

«وكان يقول: «**من صلىٰ في ليلة بمئتي آية؛ فإنه يُكتب من القانتين المخلصين**»، و «كان يقرأ في كل ليلة بـ: (بني إسرائيل) و(الزمر)، وكان يقول: «**من صلىٰ في ليلة بمئة آية؛ لم يُكتب من الغافلين**»، و «كان أحيانًا يقرأ في كل ركعة قدر خمسين آية أو أكثر»، وتارة «يقرأ قدر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾»»[1].

**والمقصود**: أن حفظ القرآن لو لم يحفظه حافظه إلا بهذه النية وحدها، ولنيل هذا الفضل العظيم، لكفاه، ولكان له من الأجر والثواب عند الله عَزَّوَجَلَّ ما له، فكيف به لو جمع مع هذه النية غيرها، مما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ ويرضاه.

فاحرصوا يا رعاكم الله علىٰ حفظه، وعلىٰ تحفيظه أولادكم، وأخلصوا لله تعالىٰ في أقوالكم وأعمالكم، ثم من استطاع منكم أن يجمع بين الحفظ والفهم وتعلم التفسير؛ فليفعل، فبه يزداد خيرًا إلىٰ خير، وينال الأكمل والأتم، فمن كمال حفظ القرآن وتمامه فهم معانيه وأحكامه، والعمل به، ومن عجز عن ذلك، أو شقَّ عليه ذلك، فليأتِ منه ما يستطيع، فما لا يُدرَكُ كُلُّه، لا يُترَكُ جُلُّه.

ثم اعلموا أن لكل عابد شِرَّةً، ولكل شِرَّةٍ فترةً، كما جاء في الحديث عند ابن خزيمة وغيره، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه:

«**إن لكل عملٍ شِرَّةً، ولكل شِرَّةٍ فترةً، فمن كانت فَترَتُه إلىٰ سنتي فقد اهتدىٰ،**

---

(١) انظر: «أصل صفة صلاة النبي ﷺ» (٢ / ٥٢٥).

**ومن كانت فَتَرَتُه إلىٰ غير ذلك فقد هلك**».

وفي رواية أخرىٰ[1]: «**إن للإسلام شِرَّةً، وإن لكل شِرَّةٍ فترةً، فإن كان صاحبهما سَدَّد وقارب فارجوه، وإن أُشِير إليه بالأصابع فلا ترجوه**».

**قال الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(شِرَّة): بكسر الشين المعجمة، وتشديد الراء، وبعدها تاء تأنيث؛ هي: النشاط والهمة. وشِرَّة الشباب: أوَّله وحِدَّته. كذا في (الترغيب)»[2].

فقدرة الشاب الصغير علىٰ الحفظ أقوىٰ من قدرة الكبير، ولكن دون إفراط ولا تفريط، كما قال شُراح هذا الحديث:

قالوا: «**لكل شيء شِرَّة**»؛ أي: حرصًا علىٰ الشيء ونشاطًا ورغبةً في الخير أو الشر، «**ولكل شِرَّة فترةً**» أي: وَهَنًا وضَعْفًا وسكونًا، «**فمن كانت فترته إلىٰ سنتي**» أي طريقتي التي شرعتها «**فقد اهتدىٰ**» أي: سار سيرة مرضية.

«**فإن صاحبها سدد وقارب**»؛ قالوا: فإن جعل صاحب الشِّرَّة عمله متوسطًا، وتجنب طرفي أفراط الشِّرَّة وتفريط الفترة «**فارجوه**»؛ أي: ارجو الفلاح منه فإنه يمكنه الدوام علىٰ الوسط، وأحب الأعمال إلىٰ الله أدومها، ومن كانت إلىٰ غير ذلك فقد هلك هلاك الأبد، لأن من سلك غير هديه ﷺ فهو من الهالكين.

فاحرصوا عباد الله علىٰ حفظ القرآن وتعلمه، وعلىٰ تحفيظه أولادكم وتعليمهم إياه، دون إفراط ولا تفريط، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل فترة أولادكم إلىٰ سنة نبيه ﷺ.

---

(١) ذكرها الألباني في «السلسلة الصحيحة» حديث رقم: (٢٨٥٠).

(٢) أصل صفة صلاة النبي ﷺ (٢/ ٥٢٢).

واعلموا أن فضل حفظ القرآن كبير، وكبير جدًّا، وهذا ما يقرره العلماء، وإن جمعوا معه الحث على الفهم والتدبر.

وقد سئل الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ)، هل هناك تلازم بين العقيدة والمنهج، وهل صحيح أن أي انحراف أو خلل في المنهج يلزم منه انحرافًا في العقيدة؟.

**فأجاب**: «لا شك أن هذه المسألة هي مسألة هامة جدًّا، فهم العقيدة لابد أن ينطلق المسلم؛ سواء كان عالمًا أو كان طالبًا أو كان من عامة الناس، لابد أن يكون منطلقه في فهم العقيدة الإسلامية على المنهج الصحيح، وقبل أن نتكلم عن المنهج ينبغي أن أُفَصِّل أو أُبَيِّن وأُوَضِّح كيف بالنسبة لعامة الناس، ثم الذين أعلى منهم قليلاً وهم طلاب العلم، كيف هؤلاء يستطيعون أن يفهموا العقيدة بناءً على المنهج الصحيح وهم ليسوا علماء.

إذًا العلماء هم الذين يستطيعون أن يفهموا العقيدة على المنهج الصحيح، فما بال الطبقتين الأخيرتين؟.

**الجواب**: كما نقول في كثير من المجالس، نُذَكِّر بقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وأهل الذكر هم أهل القرآن، وكما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في حديثٍ ثابت: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**».

وهنا لابد أن أقول شيئًا بالنسبة لأهل القرآن كما قلت بالنسبة لأهل الذكر آنفًا.

**فقلنا**: أن أهل الذكر ليسوا هم الرَّقَصة والأَكَلة، كذلك أريد أن أقول: أن أهل

القرآن ليسوا هم الحَفَظَة للقرآن فقط، والذين لا يفقهون شيئًا من معاني القرآن، وإن كان حفظ القرآن له أجرٌ كبيرٌ وكبيرٌ جدًّا، شريطة أن يكون هذا الحفظ لله عَزَّوَجَلَّ، وليس من أجل الدرهم والدينار، فالآن نقول: أهل الذكر هم أهل الله وخاصته، أي أهل القرآن الذين يتدبرون القرآن، ويفهمون القرآن، ويعملون بالقرآن، ثم العمل بالقرآن لا يمكن إلا إذا ضُمَّ إليه حديث الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسنته، لأن الاستقلال في فهم القرآن باللغة العربية؛ هذا لا يمكن أن يكون المحاول لفهم القرآن بالعربية فقط على هدًى من ربه، هذا أمرٌ مستحيل، لو جِيء بسيبويه زمانه وأعلم الناس باللغة العربية لم يستطع أن يُفسر القرآن كما أراد مُنزِّله، لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد قال في جملة ما أنزل مخاطبًا شخص الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

**إذًا هذه الآية تدل دلالةً صريحةً على أنها تضمَّنت أمرين اثنين:**

نقول قبل كل شيء هما المُبيَّن والمُبيِّن ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فإذًا الآية فيها مُبيَّن وفيها مُبيِّن؛ المُبيَّن: هو القرآن، والمُبيِّن: هو حديث الرسول أو سنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، إذًا لابد لكل مسلم من أن ينهج هذا المنهج في أن يفهم ليس فقط عقيدته، بل أن يفهم شريعة الله عَزَّوَجَلَّ ككل، لكن من باب أولى العقيدة ...»[1].

**وقال:** «فمع كون باب الاجتهاد مفتَّح الأبواب فهنا موقفان متباينان متعارضان.

**الموقف الأول:** أن كثيرًا من الناس يجتهدون ولَمَّا تتوفر فيهم وسائل الاجتهاد.

---

(١) سلسلة الهدى والنور، الشريط رقم: (١٠٨٠).

**أول ذلك**: حفظ القرآن.

**ثاني ذلك**: الأحاديث، معرفته بالأحاديث الواردة عن الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ويتبع ذلك أن يُميِّز الصحيح من الضعيف، فكثير من العلماء في كل عصر؛ ليس في هذا العصر فقط، يوردون أحاديث في كتبهم لا تصح عند علماء الحديث، ولا يخفاك أن كلَّ علمٍ له أهله، له المتخصصون فيه، ويجب في كل علم أن يُرجَع فيه الىٰ المتخصِّصين[1]، فإذًا: الذي يريد أن يجتهد، فبالإضافة إلىٰ رجوعه إلىٰ الكتاب وإلىٰ السنة، فينبغي أن يُميِّز السنة الصحيحة فيَبني عليها، مِن السنة الضعيفة فلا يعتمد عليها.

الموقف الذي يُقابِل هذا هو أن كثيرًا من الناس إذا خُولِفوا في رأيهم أو أهل الاجتهاد نقَموا علىٰ المخالفين، وهذا تعصُّبٌ مقيتٌ بَغيظٌ لا يجوز[2]، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجرٌ واحد**»؛ لذلك، نحنُ إذا وجدنا عالمًا حقًّا مما سلف أو خلف أخطأ في حكمٍ ما، نحنُ لا نُؤاخِذُه لأنه مأجورٌ بشهادة الحديث السابق، لكن ذلك لا يمنعنا أن نقول كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أخطأ»؛ لأنه: في: «صواب»، وفي: «خطأ»، فإذا بدَىٰ لنا أن زيدًا من الناس ممن سلف أو خلف كما قلنا «أخطأ» في رأيٍ ما؛ في مسألةٍ ما، ذلك لا يَحول بيننا وبين أن نقول: «أخطأ زيدٌ من الناس»، لكن كلمة «أخطأ» يعني: مأجورٌ أجرًا واحدًا، وقد جاء في الحديث أيضًا في صحيح البخاري: أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) لا إلىٰ أهل الجهل والسفسطة وأهل التصدر والتعالم، كما هو حاصل اليوم، من أصحاب هذه الأفكار المسمومة، التي وجَدَت لها آذانًا صاغية تنقاد لها، وتحملها، وتقررها؛ كلٌّ منهم في المحيط الذي يعيشون فيه، والله المستعان!!.

(٢) وقد رأيناه واضحًا جليًّا بين أدعياء الوضوح من «مجموعة النهج – غير – الواضح»، والله المستعان!!.

طلب من الرسول ﷺ بأن يسمح له بتأويل رؤيا قُصَّت علىٰ مسامعه عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فأذن له، فسأله: هل أصَبتُ يا رسول الله؟ قال: «**أصَبتَ بعضًا وأخطأت بعضًا**»؛ فلا نتورَّع نحنُ من أن نقول: «فلان أخطأ»؛ لأن هذه الكلمة ليست قدحًا، وليس فيها أي مغمزٍ أو طعنٍ، عند مَن يَفهم، الذي يَفهم أن من «أخطأ مجتهدًا» فهو مأجورٌ، فليس في ذلك أي غَمزٍ أو لَمزٍ، وإنما الواقع، نحنُ نعرف أن كثيرًا من الناس لا يَعرفون هذه الحقيقة ولذلك فهم يَعظُم عليهم أن يقال: «فلانٌ أخطأ»، وقد خَطَّأ أفضلُ البشر أفضلَ الصحابة كما سمعتَ آنفًا[1]، هذا موقفنا من الاجتهاد وأهل الاجتهاد، نُقر الاجتهاد، وبأهل الاجتهاد، ولا ننقم علىٰ من أخطأ، لكن ذلك لا يحولُ بيننا وبين بيان الخطأ بالدليل من الكتاب والسنة»[2].

**فتأمل يا رعاك الله قوله:** «وإن كان حفظ القرآن له أجرٌ كبيرٌ وكبيرٌ جدًّا، شريطة أن يكون هذا الحفظ لله عَزَّوَجَلَّ، وليس من أجل الدرهم والدينار».

**وقوله:** «فالآن نقول: أهل الذكر هم أهل الله وخاصته، أي أهل القرآن الذين يتدبَّرون القرآن، ويفهمون القرآن، ويعملون بالقرآن، ثم العمل بالقرآن لا يمكن إلا إذا ضُمَّ إليه حديث الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وسنته، لأن الاستقلال في فهم القرآن

---

(١) وهو أمرٌ مختلفٌ تمامًا عمَّا تعاملت به «مجموعة النهج - غير - الواضح» مع علماء السنة، الشيخ ربيع وعبيد وغيرهما، رحم الله من مات منهم، وغفر لحيِّهم، فلا يَغرَّنَّكم قولهم أو قول بعضهم: ماذا تنقمون علينا وقد ذكرتم عن الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأمر هنا وقرَّرتموه، وهو مذهب أهل السنة والجماعة كما تعلمون، وجوابًا علىٰ ذلك أقول: أربعوا علىٰ أنفسكم، فكلام الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ردٌّ عليكم، ومُبطِلٌ لقولكم، ولِمَا تعاملتم به مع علماء السنة!!، ومن أراد التفصيل في هذا الباب؛ فليرجع لرسالة: «دفع تهمة المجالس السرية عن الشيخ ربيع وتبرئته من موافقة الخوارج ومن سلوك مسلكهم الرديء»، وهي منشورة علىٰ شبكة الإنترنت.

(٢) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (١٠).

باللغة العربية؛ هذا لا يمكن أن يكون المحاول لفهم القرآن بالعربية فقط علىٰ هدًىٰ من ربه، هذا أمرٌ مستحيل، لو جِيء بسيبويه زمانه وأعلم الناس باللغة العربية لم يستطع أن يُفسر القرآن كما أراد مُنزِّلُه، لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد قال في جملة ما أنزل مخاطبًا شخص الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]».

ثم اضمم إليهما قوله: «أن كثيرًا من الناس يجتهدون ولَمَّا تتوفَّر فيهم وسائل الاجتهاد.

**أول ذلك**: حفظ القرآن.

**ثاني ذلك**: الأحاديث، معرفته بالأحاديث الواردة عن الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ...».

دون إلزامٍ منه بالوقوف عند كل آية من القرآن لتعلم تفسيرها، وبهذا نعلم أن القول بأن من حَفِظ القرآن أو اجتهد في حفظه دون أن يجتهد في فهم معانيه، فإنه مخالفٌ لهدي الصحابة؛ قولٌ باطلٌ، لا قائل به من أهل العلم.

إذ إن هذه الطريقة التي ذكرها الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي طريقة من جمع بين حفظ القرآن وفهمه من الصحابة، فحفظوا وعلموا وعملوا، بل هي طريقتهم جميعًا؛ حتىٰ من لم يحفظه كاملاً، ولا أدل علىٰ ذلك من قول أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو من هو في الفضل والعلم، إذ يقول: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إن قلت ما لا أعلم»، والعلم مأخوذ من الكتاب والسنة، لا من الكتاب وحده، ولا من السنة وحدها، فمن اكتفىٰ بأحدهما دون الآخر، وظن أنه قد نال الكمال بذلك؛ فقد ظل.

**ومن هنا أقول**: إن أنت ألزمتَ الناس بالحفظ علىٰ هذه الطريقة فقط، وجعلتَ المخالف لها خارجًا عن هدي الصحابة والسلف، فأبشر بالحُفَّاظ!!.

واعلم بأنك قد ألزمتَهم بما لم يُلزِمهم به الله ورسوله ﷺ، وعطَّلت شعيرةً عظيمةً من شعائر الإسلام، ألا وهي: حفظ القرآن وتلاوته، فالحافظ يتلوه ماشيًا وراكبًا وجالسًا من حِفْظِه، بخلاف غيره ممن لا يحفظ القرآن، إذ لا يتمكن من قراءته إلا وبيده المصحف متىٰ ما سنحت له الفرصة بذلك.

ورحم الله الإمام الألباني إذ نصَّ علىٰ أن حفظ القرآن أول وسائل الاجتهاد، مع عدم حفظه له كاملاً كما ذكر هو عن نفسه.

**الوجه الثاني**: أن من الأمور المتفق عليها بين السلفيين هي أن الحديث حجةٌ بنفسه في العقائد والأحكام.

ولست بحاجة لأن أطيل الكلام في هذه المسألة؛ لوضوحها واتفاق جميع السلفيين عليها، ولعل ما حصل من اعتراض علىٰ أحاديث النبي ﷺ الحاثة علىٰ حفظ القرآن، والمبيِّنة لفضله - دون أن تشترط تعلم التفسير، والوقوف عند كل آية منه لتعلم تفسيرها - إنما هو زلةٌ غير مقصودةٍ منهم، حصلت بما فهمه المعترضون من آثار الصحابة رضي الله عنهم التي جمعوها، ثم فهموها علىٰ غير ما أراده الصحابة منها - وعلىٰ خلاف ما فهمه منها أئمة الهدىٰ من أهل السنة والجماعة - وحمَّلوها ما لا تحتمل، ومن ثَمَّ حملوها علىٰ غير وجهها الصحيح.

وإلا فمن المحال أن نجد من أصحاب النبي ﷺ من يُخطِئ فيأتي بما فيه مخالفةٌ واضحةٌ وصريحةٌ لأحاديث رسول الله ﷺ، ولهديه وأمره، ثم لا نجد في الصحابة من يَرد هذا الخطأ ويُبطله، حتىٰ يُظن فيه الإجماع[1].

---

(١) كما هي دعوىٰ «مجموعة النهج - غير - الواضح»؛ التي تزعم بأن حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون الوقوف عند كل آيةٍ منه لتعلم تفسيرها؛ مخالفٌ لهدي الصحابة، وخروجٌ عن جماعتهم!!.

ولو كان الإجماع منعقدًا - كما يزعم أصحاب هذا القول الجديد المُحدَث - علىٰ عدم جواز حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون تعلم تفسيره، لَمَا خالفه التابعون وأتباعهم من أئمة السنة وعلمائها، وهم يقرأون قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ومادام الأمر كذلك، فمن المعلوم عند أهل السنة جميعًا، وعلىٰ رأسهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ أن أحاديثَ النبي ﷺ وسنَّتَه مقدمةٌ علىٰ قول الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلىٰ فهمه، ما لم يكن إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منعقدًا علىٰ هذا القول وهذا الفهم، إذ الحجة في إجماعهم، لأن إجماع الصحابة لا يكون إلا حقًّا، وإجماع الأمة من بعدهم لا يكون إلا حقًّا أيضًا، وذلك أن الإجماع لا يكون إلا حقًّا، ولا يخرج عن الكتاب والسنة، كما هو ثابت عن النبي ﷺ، وذلك قوله: «**لا تجتمع أمتي علىٰ ضلالة**».

والخلاف إذا وُجِد - سواء بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وفي زمانهم، أو بين من بعدهم - فالواجب فيه الرجوع إلىٰ السنة وتحريم مخالفتها.

**وفي ذلك قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ):**

«إن من المتفق عليه بين المسلمين الأولين كافة، أن السنة النبوية - علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام - هي المرجع الثاني والأخير في الشرع الإسلامي، في كل نواحي الحياة؛ من أمور غيبية اعتقادية، أو أحكام عملية، أو سياسية، أو تربوية، وأنه لا يجوز مخالفتها في شيء من ذلك لرأي أو اجتهاد أو قياس، كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر «الرسالة»: «لا يحل القياس والخبر موجود»، ومثله

ما اشتهر عند المتأخرين من علماء الأصول: «إذا ورد الأثر بطل النظر»، «لا اجتهاد في مورد النص»، ومستندهم في ذلك الكتاب الكريم، والسنة المطهرة»[١].

ثم تحت عنوان: «بطلان تقديم القياس وغيره علىٰ الحديث»، قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن رد الحديث الصحيح بالقياس أو غيره من القواعد التي سبق ذكرها، مثل رده بمخالفة أهل المدينة له، لهو مخالفة صريحة لتلك الآيات والأحاديث المتقدمة القاضية بوجوب الرجوع إلىٰ الكتاب والسنة عند الاختلاف والتنازع.

ومما لا شك فيه عند أهل العلم أن رد الحديث لمثل ما ذكرنا من القواعد، ليس مما اتفق عليه أهل العلم كلهم، بل إن جماهير العلماء يخالفون تلك القواعد، ويقدمون عليها الحديث الصحيح اتباعًا للكتاب والسنة.

كيف لا مع أن الواجب العمل بالحديث، ولو مع ظن الاتفاق علىٰ خلافه، أو عدم العلم بمن عمل به[٢].

**قال الإمام الشافعي في «الرسالة»**: «ويجب أن يُقبل الخبر في الوقت الذي يثبت فيه، وإن لم يَمضِ عملٌ من الأئمة بمثل الخبر».

**وقال العلامة ابن القيم في «إعلام الموقعين»**: «ولم يكن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يُقدم علىٰ الحديث الصحيح عملاً، ولا رأيًا، ولا قياسًا، ولا قولَ صاحبٍ، ولا عدم علمه بالمخالف الذي يُسميه كثيرٌ من الناس إجماعًا، ويقدمونه علىٰ الحديث الصحيح، وقد كذَّب أحمد من ادَّعىٰ هذا الإجماع، ولم يُسغ تقديمه علىٰ الحديث الثابت، وكذلك الشافعي أيضًا نص في «رسالته الجديدة» علىٰ أن

---

(١) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام (ص: ٢٥).

(٢) ماذا عسىٰ «مجموعة النهج – غير – الواضح»؛ أن تقول وتقرر عند هذا الكلام؟!.

ما لا يُعلَم فيه بخلاف لا يُقال له إجماع ... ونصوص رسول الله ﷺ أجل عند الإمام أحمد وسائر أئمة الحديث من أن يُقدِّموا عليها توهُّم إجماع، مضمونه عدم العلم بالمخالف، ولو ساغ لتعطَّلت النصوص، وساغ لكل من لم يعلم مخالفًا في حكم مسألة أن يُقدم جهله بالمخالف علىٰ النصوص»[١].

**وقال ابن القيم أيضًا:** «وقد كان السلف الطيب يشتد نكيرهم وغضبهم علىٰ من عارض حديث رسول الله ﷺ برأي أو قياس، أو استحسان، أو قول أحد من الناس كائنًا من كان، ويَهجرون فاعل ذلك ويُنكِرون علىٰ من ضرب له الأمثال، ولا يُسوِّغون غير الانقياد له ﷺ والتسليم، والتلقي بالسمع والطاعة، ولا يخطر بقلوبهم التوقف في قبوله حتىٰ يشهد له عمل أو قياس، أو يوافق قول فلان وفلان، بل كانوا عاملين بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وأمثاله مما تقدم، فدُفِعنا إلىٰ زمان إذا قيل لأحدهم: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: كذا وكذا، يقول: من قال بهذا؟[٢] دفعًا في صدر الحديث، ويَجعل جَهلَه بالقائل حجةً له في مخالفته وترك العمل به، ولو نَصَحَ نَفسَه لَعَلِم أن هذا الكلام من أعظم الباطل، وأنه لا

---

(١) وهو عين ما وقعت فيه «مجموعة النهج – غير – الواضح» حين ادَّعت إجماع الصحابة رضي الله عنهم علىٰ عدم جواز قراءة القرآن أو حفظه؛ إلا لمن يجمع معه الوقوف عند كل آيةٍ ليتعلم تفسيرها، وأن من لم يقرأه أو يحفظه علىٰ هذه الطريقة التي درج عليها الصحابة رضي الله عنهم؛ فهو مخالفٌ لهدي الصحابة، وخارجٌ عن جماعتهم!!.

(٢) وهو عين ما وقعت فيه «مجموعة النهج – غير – الواضح»، إذ عارضت أحاديث رسول الله ﷺ الحاثة علىٰ قراءة القرآن وحفظه دون اشتراط الجمع بين القراءة أو الحفظ وبين تعلم التفسير بأثر أبي عبد الرحمن السُّلَمِي، وحصَرَت حفظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا الأثر، وأن من خالف هذا الأثر؛ فهو مخالفٌ لهدي الصحابة، وخارجٌ عن جماعتهم!!.

يحل له دفع سنن رسول الله ﷺ بمثل هذا الجهل، وأقبح من ذلك عذره في جهله، إذ يعتقد أن الإجماع منعقدٌ علىٰ مخالفة تلك السنة، وهذا سوء ظن بجماعة المسلمين؛ إذ ينسبهم إلىٰ اتفاقهم علىٰ مخالفة سنة رسول الله ﷺ[١]، وأقبح من ذلك عذره في دعوىٰ هذا الإجماع، وهو جهله وعدم علمه بمن قال بالحديث؛ فعاد الأمر إلىٰ تقديم جهله علىٰ السنة، والله المستعان».

**قلت**: وإذا كان هذا حال من يخالف السنة، وهو يظن أن العلماء اتفقوا علىٰ خلافها، فكيف يكون حال من يخالفها، إذا كان يعلم أن كثيرًا من العلماء قد قالوا بها[٢]، وأن من خالفها لا حجة له إلا من مثل تلك القواعد المشار إليها، أو التقليد علىٰ ما سيأتي في الفصل الرابع»[٣].

**والمقصود**: أنك يا طالب العلم إذا ما وقفت علىٰ أثر عن الصحابة رضي الله عنهم، أو علىٰ آثار كثيرة عنهم، في المسألة الواحدة، ورأيت ظاهرها قد خالف سنةً ثابتةً عن النبي ﷺ، أو أن فيها تزهيدًا لعبادة من العبادات أو طاعة من الطاعات، أو حثًّا علىٰ ترك عبادة أو طاعة قد دلت النصوص عليها، وعلىٰ فضلها، وإثبات الأجر لفاعلها، فاعلم أن الخلل في فهمك أنت، لا في هذه الآثار، وإن صحَّت الآثار وبلغت ألف أثر، وما عليك - والحال هذه - إلا أن تعيد فيها النظر مرة ومرتين وألف، فإن لم تفهمها، ولم يُزَل عنك الإشكال؛ فارجع إلىٰ العلماء ليُزيلوا عنك الإشكال، ويُجَلُّوا لك الشبهة، لأن أصحاب النبي ﷺ لا يخالفون هديه، ولا يخرجون عن

---

(١) وهو عين ما وقعت فيه «مجموعة النهج - غير - الواضح» حين ادَّعت اتفاق الصحابة رضي الله عنهم علىٰ مخالفة سنة رسول الله ﷺ الحاثة علىٰ قراءة القرآن وعلىٰ حفظه أو حفظ شيء منه؛ دون قيد أو شرط.

(٢) كما هو الشأن في قراءة القرآن أو حفظه دون الوقوف عند كل آيةٍ لتعلم تفسيرها!!.

(٣) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام (ص: ٣٩).

سنته، حاشاهم رضي الله عنهم أن يتعمَّدوا ذلك، أو أن يُجمِعوا عليه، فإن أخطأ أحدٌ منهم، فإنك ستجد تصويب هذا الخطأ من غيره من الصحابة رضي الله عنهم أنفسهم.

* **ولتوضيح هذا الأمر سأذكر أثرين من صلب الموضوع:**

- **الأول:** ما سبق ذكره عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يجاوزون العشر آيات حتىٰ يتعلَّموا ما فيها من العلم والعمل.

وهذا قد سبق توضيحه، وأن المقصود منه: أنهم رضي الله عنهم هم الثقات العدول الذين شهدوا التنزيل، وحملوه عن النبي ﷺ لفظًا ومعنًىٰ، ثم نقلوا لنا هذا الدين غضًّا طريًّا كما تلقَّوه من النبي ﷺ، هكذا فهمه العلماء، وفي مثل هذه المواطن، وفي الرد علىٰ من يشكك في معاني الكتاب والسنة؛ استخدموه.

ولم يقل أحد من العلماء؛ لا قديمًا ولا حديثًا، بأن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا بهذا الأثر تقييد حفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وقراءته؛ بأن لا يحفظه ولا يقرأه إلا من جمع معه الفهم والتفسير، أو أنه لا يجوز لأحد أن يحفظه أو يقرأه إلا علىٰ هذه الطريقة التي ذكرها أبو عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمَّن نقلها عنهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

- **الثاني:** ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «قَدِم علىٰ عمر بن الخطاب رجلٌ، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقال ابن عباس: فقلت: والله ما أُحِب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، قال: فزبَرَني عمر، وقال: مَهْ، فانطلقت إلىٰ منزلي مكتئبًا حزينًا، فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجلٌ فقال: أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني، فأخذ بيدي فخلا بي، فقال: ما الذي كرهت؟ قلت: يا أمير المؤمنين، متىٰ يتسارعوا هذه المسارعة يَحتقُّوا، ومتىٰ ما يَحتقُّوا يَختصِموا،

ومتىٰ ما يَختصِموا يَختلِفوا، ومتىٰ ما يَختلِفوا يَقتَتِلوا، قال: لله أبوك، والله إن كنت لأكتمها الناس حتىٰ جئتَ بها».

**وفي رواية**: «فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجلٌ فقال: أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني وأخذ بيدي فخلا بي وقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل، فقلت: يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فإني أستغفر الله عَزَّوَجَلَّ وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت».

**وفي رواية أخرىٰ**: «فانطلقت إلىٰ منزلي مكتئبًا حزينًا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا بمنزلة، ولا أُراني إلا قد سقطت من نفسه؛ فاضطجعت علىٰ فراشي، حتىٰ عادني نسوة أهلي، وما بي وجع».

**قوله**: (يَحتقُّوا): أي: يقول كل منهم الحق معي.

وهذا الأثر يحتاج منا إلىٰ تأمل وتدبر، بأن ننظر إليه من جميع جوانبه؛ لا أن نأخذ منه جانبًا، وندع غيره، فأقول:

**أولاً**: لو كان حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون الوقوف عند كل آيةٍ منه لتعلم تفسيرها ممنوعًا شرعًا، لعلمه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولَمَا ارتضاه ابتداءً إذ أُخبر به، ولَمَا قبله ممن أخبره به.

**ثانيًا**: لو كان حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون الوقوف عند كل آيةٍ منه لتعلم تفسيرها ممنوعًا شرعًا، لَما غضب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولَما نَهَرَه وزَجَرَه علىٰ استنكاره.

**ثالثًا**: لو كان حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون الوقوف عند كل آيةٍ منه لتعلم تفسيرها ممنوعًا شرعًا، لَما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن كنت

أسأت فإني أستغفر الله عَزَّوَجَلَّ وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت»، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين جميعًا، فضلاً عن السلفيين، وأن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أكبر وأجَل من أن يخالف شرع الله عَزَّوَجَلَّ لقول أحدٍ من الناس كائنًا من كان.

**رابعًا**: لو كان حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، ودون الوقوف عند كل آيةٍ منه لتعلم تفسيرها ممنوعًا شرعًا، لَما حزن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وتندَّم علىٰ قوله، وهو من هو في نصرة الحق، ورد الباطل.

* **والسؤال**: لماذا قبل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قول ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بعد أن أخبره بالعلة التي قال لأجلها ما قال؟ وهي خوفه من أن يقول كل منهم الحق معي، ثم يقتتلوا بعد ذلك؟.

**والجواب**: أن الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره، فابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أراد لهؤلاء ما هو أكمل وأتم، ونحن إذا تأملنا فهم ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وخشيته علىٰ هؤلاء الحُفَّاظ لوجدناه حقًّا، لا يُنكره أحد، لا عمر، ولا أبو بكر قبله، ولا غيرهما من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، ولا من هو دونهم من الأئمة والعلماء، إذ به خرجت الخوارج، وظهرت البدع وانتشرت.

وهذا أمرٌ ظاهرٌ، وهو شاملٌ للدين كله، وليس محصورًا علىٰ الجهل بالقرآن، من جهة حفظه ومعناه، فالقرآن والسنة كلاهما وحيٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، وكلاهما يحث ابن عباس وغيره من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، بل ومن هو دونهم علىٰ تعلمهما والتدبر فيهما، فما قاله ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ووافقه عليه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، إنما يُراد به الحث علىٰ تعلم العلم من الكتاب والسنة، سواء حَفِظ العبد القرآن أم لم

يحفظه، وليس فيه المنع من الحفظ، ولا التقليل من شأنه، لا من قريب ولا من بعيد، وهذا أمرٌ ظاهرٌ لكل من تدبره.

فأنت يا طالب العلم مما يلزمك من هذا الأثر وما في معناه، أنك إذا رأيت الشاب أو الصبي يأخذه والده إلىٰ جماعة منحرفة عن السنة، ليحفظ عندهم القرآن، أو يتعلم عندهم السنة، أو حتىٰ في علم من علوم الدنيا، فبيِّن له، وحذِّره، ووجِّهه إلىٰ الصواب، وإلىٰ ما فيه حماية لهذا الشاب من الانحراف، حتىٰ وإن بلغ الحال به إلىٰ أن يُمنَع من حفظ القرآن، ومن فهمه، ومن تعلم السنة، مادام الأمر سيقوده إلىٰ الانحراف عن الكتاب والسنة، وإلىٰ الخروج عنهما، وعن هدي أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن سار علىٰ دربهم إلىٰ يوم الدين.

وإذا رأيت الشاب أو الصبي يحرص والده علىٰ تحفيظه القرآن مع المحافظة عليه، وتجنيبه كل هذه الشرور؛ فشجِّعه، ووجِّهه إلىٰ أن يهتم به اهتمامًا زائدًا، فيحرص علىٰ أن يجمع له بين الحُسنَيَين؛ الحفظ والفهم وتعلم التفسير بقدر استطاعته، دون أن يشق عليه، فيترك الحفظ بسببه، وهكذا.

فالمسألة نسبة وتناسب، لا أن تجعل قاعدةً عامةً لم تُسبَق إليها؛ تَصرِف بها الآباء والأبناء عن قراءة القرآن، وعن حفظه؛ بدعوىٰ أن القراءة أو الحفظ دون فهمٍ لمعاني القرآن، ودون تعلم التفسير، خلافٌ لهدي الصحابة، وخروجٌ عن جماعتهم!!.

بل إن الحكمة والعقل يحملان السلفي علىٰ أن يحث السلفيين خاصة علىٰ قراءة القرآن، وعلىٰ حفظه، وعلىٰ تحفيظه أبناءهم، لكي يسدوا الفراغ الموجود في الساحة الدعوية، كما يقال، ولكيْ لا يتركوها للمخالفين يبثون فيها سمومهم، خاصة ونحن نرىٰ حافظ القرآن وما له عند الدول الإسلامية، وعند عامة الناس،

من منزلة ومكانة، فهو المُقدَّم للإمامة والخطابة، وغيرها، وهو الذي يُلجَأ إليه ويُرجَع إليه في الفتوىٰ وغيرها، وإن كان جاهلاً!!.

**وذلك يعني**: أنه ليس من الحكمة بتاتًا أن نصرف عنها السلفيين، بحجة إما أن تفهم أو تترك!!.

بل في فعلنا هذا خدمة لا مثيل لها لأصحاب المناهج المنحرفة، لأن المخالف للسنة إذا سُئِل سيفتي وإن كان جاهلاً، أما صاحب السنة فالأصل فيه أنه سيتورَّع عن الإجابة، وسيقول لِمَا لا يدري: لا أدري، ومن ثَم يوجِّههم إلىٰ العلماء السلفيين، فيُحفَظ الناس في عقائدهم وعباداتهم بعد الله عَزَّوَجَلَّ بسبب هذا السني السلفي الحافظ للقرآن.

**الوجه الثالث**: أنه لابد أن نعلم أن تعامل السلف مع الآثار الموقوفة والمقطوعة يختلف تمامًا عن تعاملهم مع الأحاديث المرفوعة إلىٰ النبي ﷺ.

وذلك أن الهجوم علىٰ الآثار الموقوفة والمقطوعة، الواردة عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعمَّن دونهم، وتضعيفها بهذه الطريقة، ليست طريقةً سنيةً سلفيةً، بل هي طريقةٌ مخالفةٌ لهدي السلف، جرىٰ عمل الأئمة والعلماء قديمًا وحديثًا علىٰ خلافها، فلا تجد فيهم من يسعىٰ جاهدًا لتقوية قوله ورأيه بتصحيح الأحاديث والآثار أو تضعيفها، بل مسلك التصحيح والتضعيف لا يسلكونه إلا حمايةً للدين، وانتصارًا له، لا تجد فيهم من يسلكه حمايةً لنفسه، ولا انتصارًا لمذهبه، وقوله.

فالأئمة رحمهم الله إذا رأوا الأمر قد جرىٰ عليه عمل السلف، وتتابع عليه عملهم، علموا أنه حقٌّ، وأن له أصلاً ثابتًا عندهم، فإن خرج عليهم من يُشكِّك فيما تتابع عليه عمل الأئمة، ويحاول إبطاله، فهنا تجدهم يَنشطون للتصحيح

والتضعيف؛ ليُبيِّنوا بطلان قوله، ويُعلِمونه أن الأئمة لم يتتابعوا، ولن يتتابعوا علىٰ فعل أو قول إلا ولهم فيه أصلٌ ثابتٌ ينطلقون منه، إما من كتاب، أو سنة، أو إجماع، إذ لو لم يكن كذلك لَمَا تتابَعوا عليه.

ونشاطهم في التصحيح والتضعيف؛ لبيان بطلان قول هذا المُشكِّك؛ ما هو إلا لعلمهم بأن الآثار الموقوفة والمقطوعة؛ إذا جاءت مخالفةً للكتاب والسنة، فلابد أن يوجد من الآثار نفسها ما يُبطِلها، وذلك لعلمهم بأن السلف لا يتعمَّدون الخطأ، فإذا صدر الخطأ من أحدهم، فلابد أن يُوجَد فيهم من يَرده ويُبطِله، وذلك أن حماية الدين والذب عنه هو الأساس الذي ينطلقون منه، وما أكثر ما نجد في مصنفاتهم وكتبهم ما يذكرونه من الآثار دون أن يُشدِّدوا فيها، خاصةً إذا جاءت هذه الآثار موافقةً للكتاب والسنة، ولا مخالفة فيها، وذلك ليس جهلاً منهم بأسانيدها، ولا بصحيحها من سقيمها، ولكن لعلمهم بأن لها أصلاً ثابتًا، وأنها لا تخرج عمَّا أصَّلوه هم وقَعَّدوه من أصول وقواعد، فتجدهم يذكرونها استئناسًا بها، يُقوُّون بتتابع الأئمة عليها ما يُقرِّرونه من مسائل عقائدية، أو غيرها، قد بذل أهل الباطل قصارىٰ جهدهم لإسقاطها وتشكيك المسلمين فيها، فإذا ما رأىٰ المسلمون تتابع السلف من الصحابة والتابعين، وتتابع الأئمة من بعدهم عليها، وعلىٰ ذكرها في مصنفاتهم، وعلىٰ العمل بها، اطمَأَنُّوا لها، وهدَأُوا، وإن كان فيها ما فيها من ضعف، إذ تتابعهم عليها يدل علىٰ وجود أصلها، وأنها حقٌّ مشروع.

ونحن يا طلاب العلم لو سلكنا غير هذا السبيل الذي سلكوه، لأسقطنا مصنفات السلف واحدًا تلو الآخر، وعلىٰ رأس هذه المصنفات كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه،

وغيرهم كثير، ولعبثنا بمسائل كثيرة قد احتوتها كتبهم، ومصنفاتهم، بل وكتب العقائد قبلهم، وشكَّكنا المسلمين فيها، والله المستعان.

ولست أطيل في هذه المسألة أيضًا، فاللبيب تكفيه الإشارة، ولننظر كيف تعامل الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من هو في هذا الفن مع مثل هذا الأمر:

ذكر الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ) في «السلسلة الضعيفة» حديثًا، ولفظه: «لَمَّا وضع رسول الله ﷺ نعيم بن مسعود في القبر نزع الأخلة بفيه [يعني العقد]».

**ثم قال تحته:**

«هذا، وروىٰ ابن أبي شيبة عن رجل عن أبي هريرة قال: «شهدت العلاء الحضرمي، فدفنَّاه، فنسينا أن نَحِلَّ العُقَدَ حتىٰ أدخلناه قَبرَه، قال: فرفعنا عنه اللَّبِنَ، فلم نرَ في القبر شيئًا».

ثم ساق في الباب آثارًا أخرىٰ عن بعض التابعين لا تخلو من ضعف، لكن مجموعها يلقي الاطمئنان في النفس أن حَل عُقَد كفن الميت في القبر كان معروفًا عند السلف، فلعله لذلك قال به الحنابلة تبعًا للإمام أحمد، فقد قال أبو داود في «مسائله» (١٥٨): «قلت لأحمد (أو سئل) عن العُقَد تُحَل في القبر؟ قال: نعم».

**وقال ابنه عبد الله في «مسائله» (١٤٤ / ٥٣٨)**: «مات أخ لي صغير، فلما وضعته في القبر، وأبي قائم علىٰ شفير القبر، قال لي: يا عبد الله! حل العقد، فحللتها»[(١)].

وفي موطنٍ آخر؛ قال:

«إنه لا تلازم عند أهل الحق والعلم بين كون حديثٍ ما ضعيفَ الإسناد، وبين أنْ لا يكون له أو لبعضه أسانيد أخرىٰ تُقوِّيه، فالباحث الناصح حقًّا؛ لا

---

(١) السلسلة الضعيفة (٤ / ٢٤٦)، حديث رقم: (١٧٦٣).

يقف عند هذا الإسناد، بل إنه يتوسَّع في بحثه، ويُوسِّع أفق نظره، لعله يجد ما يُقوِّيه، أو يُقوِّي بعضه علىٰ الأقل ...

**إلىٰ أن قال:**

**ومما يُؤكِّد صحة الحديث**: جريان عمل العلماء عليه، واحتجاجهم به في كتبهم، مع اطلاعهم علىٰ العلة المزعومة، وهي الوقف علىٰ الزهري؛ كالإمام النووي في «الرياض» و «شرح مسلم»، وغيرهما، والشيخين: المصنف هنا، وشيخه في الفتاوىٰ، والحافظ العراقي في مواطن من كتابه: «تخريج الإحياء»، وابنه أبي زرعة في «طرح التثريب»، والحافظ ابن كثير في «التفسير»، وغيرهم كثير وكثير، مما لا يمكن إحصاؤه»(١).

**قلت**: انظر يا طالب العلم إلىٰ تعامل هذا العالم الرباني مع آثار السلف، وانظر إلىٰ تعامل من هو دونه، ممن جدوا واجتهدوا ليجعلوها موافقةً لقولهم الجديد المُحدَث، والله المستعان.

**الوجه الرابع**: ذكر بعض ما جاء عن الأئمة في تراجمهم، ومن أقوالهم، مما يخص حفظ القرآن، مما يدل دلالةً ظاهرةً علىٰ أن له أصلاً عندهم.

- **الأول**: ما جاء عن محمد بن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤هـ).

**فقد جاء في ترجمته** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإمام، العلم، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام.

**وفيها**: عن الليث بن سعد، قال: ما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب، يُحدِّث في الترغيب، فتقول: لا يُحسِن إلا هذا، وإن حَدَّث عن العرب والأنساب،

---

(١) انظر كتاب: «إغاثة اللهفان» (١ / ٦٥٢)، بتخريج الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قلت: لا يُحسِن إلا هذا، وإن حَدَّث عن القرآن والسنة، كان حديثه.

**وفيها**: قال ابن شهاب: فبينا نحن معه نسمر، إذ جاءه رسول عبد الملك، فذهب إليه، ثم رجع إلينا، فقال:

من منكم يحفظ قضاء عمر رضي الله عنه في أمهات الأولاد؟.

**قلت**: أنا. قال: قُم. فأدخلني علىٰ عبد الملك بن مروان، فإذا هو جالس علىٰ نمرقة، بيده مخصرة، وعليه غلالة، ملتحف بسبيبة، بين يديه شمعة، فسلمت، فقال: من أنت؟ فانتسبت له، فقال: إن كان أبوك لنعارًا في الفتن. قلت: يا أمير المؤمنين، عفا الله عما سلف. قال: اجلس. فجلست، قال: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم ...

**وفيها**: معن بن عيسىٰ: عن ابن أخي الزهري، قال: جمع عمي القرآن في ثمانين ليلة»(١).

والشاهد من ترجمته رحمه الله أنه قد حفظ القرآن في ثمانين ليلة، ولم يجعله أحدٌ من الأئمة مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم، كما هي دعوىٰ أصحاب القول الجديد المُحدَث؛ فتأمل!!.

- **الثاني**: ما جاء عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله (ت: ٢٠٤هـ).

فقد جاء في ترجمته رحمه الله ما يدل دلالةً واضحةً علىٰ أنه قد حفظ القرآن وهو صغير، وهذا أمر مُسلَّمٌ به، لا حاجة لنا لإثباته، لولا أننا قد اضطررنا إليه، وذلك بسبب تشغيب أصحاب القول الجديد المُحدَث به.

**فمن ترجمته**: «قال ابن أبي حاتم: سمعت عمرو بن سواد: قال لي الشافعي: ولدت بعسقلان، فلما أتىٰ عليَّ سنتان، حملتني أمي إلىٰ مكة.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦ – ٣٣٢).

**وقال ابن عبد الحكم**: قال لي الشافعي: ولدت بغزة، سنة خمسين ومائة، وحُملت إلىٰ مكة ابن سنتين ...

**قال الحميدي**: سمعت الشافعي يقول: كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم، وكان المعلم قد رَضِيَ مني أن أقوم علىٰ الصبيان إذا غاب، وأخفِّف عنه.

**وعن الشافعي قال**: كنت أكتب في الأكتاف والعظام، وكنت أذهب إلىٰ الديوان، فأستوهبُ الظهور، فأكتب فيها.

**قال عمرو بن سوَّاد**: قال لي الشافعي: كانت نَهمَتي في الرَّمي، وطلب العلم، فنلتُ من الرَّمي حتىٰ كنت أصيب من عشرةٍ عشرةً، وسكتَ عن العلم، فقلت: أنت والله في العلم أكبرُ منكَ في الرَّمي.

**قال أحمد بن إبراهيم الطائي الأقطع**: حدثنا المزني، سمع الشافعي يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت «الموطَّأ» وأنا ابن عشر.

**الأقطع**: مجهول ...

**وعن الشافعي قال**: أتيت مالكًا وأنا ابن ثلاث عشرة سنة - كذا قال، والظاهر أنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة - قال: فأتيت ابن عمٍّ لي والي المدينة، فكلم مالكًا، فقال: اطلب من يقرأ لك، قلت: أنا أقرأ، فقرأت عليه، فكان ربما قال لي لشيءٍ قد مرَّ: أَعِدْهُ، فأُعيدُه حفظًا، فكأنه أعجَبه، ثم سألته عن مسألة، فأجابني، ثم أخرىٰ، فقال: أنت تحب أن تكون قاضيًا.

**ويُروىٰ عن الشافعي**: أقمت في بطون العرب عشرين سنة، آخذ أشعارها ولغاتها، وحفظت القرآن، فما علمت أنه مرَّ بي حرفٌ إلا وقد علمت المعنىٰ فيه

والمراد، ما خلا حرفين، أحدهما: دسَّاها.

إسنادها فيه مجهول.

**قال ابن عبد الحكم**: سمعت الشافعي يقول: قرأت القرآن علىٰ إسماعيل بن قسطنطين».

**والسؤال**: هل يُعقَل بأن يكون الإمام الشافعي قد نال ما نال في شتىٰ الفنون؛ حتىٰ بلغ فيها أعلىٰ المراتب، ونال المنزلة العالية في الحفظ؛ فمن حديث، إلىٰ فقه، إلىٰ شعر، إلىٰ غير ذلك، ثم فرَّط في حفظ القرآن، فتعداه إلىٰ غيره، ولم يحرص عليه، ولم يحفظه؟!!.

فيا عجبًا لمن فرح بما وجده وظفر به من لفظ أو لفظين يُضعِّف بهما حفظ الشافعي للقرآن، ويَنفيه عنه، كفرحه بقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨هـ): «الأقطع: مجهول»، وقوله: «إسنادها فيه مجهول».

ولم ينظر لِمَا أراده الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إيراده لهذين الأثرين، وأنه إنما أتىٰ بهما ليستأنس بهما علىٰ إثبات ما هو ثابتٌ عنده، من أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان آيةً في الحفظ، وأنه قد جمع مع حفظ القرآن غيره، لا أنه جاء بهذين الأثرين ليضعفهما، وليضعف بتضعيفه لهما إثبات حفظ الشافعي للقرآن، ويَنفيه عنه!!.

ولو كلف - مَن نفىٰ الحفظ عن الشافعي - نفسه، وتأمَّل الترجمة نفسها؛ لعلم يقينًا بأن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد حفظ القرآن وهو صغير، إذ كان ممن قرأ عليهم القرآن: إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين؛ شيخ الإقراء بمكة.

وفي الترجمة نفسها أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد انتقل إلىٰ مكة وهو ابن سنتين، ثم تعلم فيها ما تعلم - حتىٰ رَضِيَ المعلم منه أن يقوم مقامه، ويُعلِّم

الصبيان إذا غاب - إلىٰ أن انتقل منها إلىٰ المدينة وهو ابن نيفٍ وعشرين سنة، وقد بلغ من العلم والحفظ منزلةً عاليةً، مما يستحيل معها أنْ لا يكون حافظًا للقرآن.

**قال الإمام الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٤٨هـ)**: «اتفق مولد الإمام بغَزَّة، ومات أبوه إدريسُ شابًّا، فنشأ محمدٌ يتيمًا في حجر أمه، فخافت عليه الضَّيعة، فتحولت به إلىٰ مَحْتِدِه[١]؛ وهو ابن عامين، فنشأ بمكة، وأقبل علىٰ الرَّمي، حتىٰ فاق فيه الأقران، وصار يُصيب من عشرة أسهمٍ تِسعةً، ثم أقبل علىٰ العربية والشِّعر، فبرع في ذلك، وتقدَّم.

ثم حُبِّب إليه الفقه، فَسادَ أهل زمانه ...

وارتحل - وهو ابن نيِّفٍ وعشرين سنة، وقد أفتىٰ وتأهَّل للإمامة - إلىٰ المدينة، فحمل عن مالك بن أنس «الموطَّأ»، عرضه من حفظه، وقيل: من حفظه لأكثره»[٢].

هذا هو الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيا عجبًا ممن هو منتسبٌ للسنة وأهلها؛ ثم يسعىٰ جاهدًا ليُضعِّف إمامًا من أئمتها، ويُقلِّل من قَدْرِه عند أتباعه، أو عند العامة علىٰ الأقل؛ بأن يَنفي عنه ما هو ثابتٌ له من حفظه للقرآن، ظلمًا وافتراءً، ودون أي بينة؛ إلا الهوىٰ وحب الانتصار، يفعل ذلك مع إمامٍ من أئمة السنة، ونحن نرىٰ أهل البدع - في الطرف الآخر - يسعون جاهدين علىٰ العكس من ذلك، فهم يسعون لأن ينسبوا إلىٰ كبرائهم ما لم ينالوا عشر معشاره، ليرفعوا من شأنهم عند الناس، وليكون لهم القبول عند العامة، وغيرهم!!.

بل والأدهىٰ من ذلك والأمر أن نجد في المنتسبين إلىٰ السنة من يتكلَّف

(١) أي: إلىٰ موطنه الأصلي مكة.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٦ - ١٣).

تضعيف آثارٍ، قد تتابع عليها أئمة السنة، قديمًا وحديثًا، تدل بمجموعها علىٰ صحة ما يسعىٰ هو لنسفه، وإلغائه، دون أن يلتفت لجلالة وقَدرِ هؤلاء الأئمة، وما لهم من الفضل والمنزلة عند المسلمين عمومًا، وعند السلفيين علىٰ وجه الخصوص، ودون أن ينظر إلىٰ استحالة تواطئهم علىٰ ما رآه هو باطلاً، والله المستعان!!.

- **الثالث**: ما جاء عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١هـ).

**فمن ذلك:**

**أولاً**: قال صالح بن زياد السوسي: «سألت أبا عبد الله عن الإمام يخاف أن يُمتَحن علىٰ الإمامة؟ قال: يتركها.

**قلت**: فالمؤذِّن يخاف أن يُمتَحن علىٰ الأذان؟ قال: يتركه.

**قلت**: فالمقرئ يخاف أن يُمتَحن علىٰ القراءة؟ قال: لا يتركها؛ ليس كل الناس يحفظ القرآن»[1].

**ثانيًا**: قال الميموني: «سألت أحمد: أيما أحب إليك أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟.

**قال**: بالقرآن.

**قلت**: أُعلِّمه كله؟.

**قال**: إلا أن يَعسر عليه فتُعلِّمه منه، ثم قال لي: إذا قرأ أولاً تعوَّد القراءة ولزمها»[2].

**ثالثًا**: قال ابن هانئ: «قلت لأبي عبد الله: ما معني: لو كان القرآن في إهابٍ ما مسَّته النار؟.

**قال**: هذا يُرجَىٰ لمن القرآن في قلبه، ألا تَمَسَّه النار.

---

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٣ / ٤٠٥).

(٢) الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٣ / ٤٠٦).

«في إهاب»؛ يعني: في جلد، يعني: في قلب رجل.

**وقال في موضع آخر**: «في إهاب»؛ في جلد»[١].

- **الرابع**: ما جاء عن ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٧هـ).

**فقد جاء في ترجمته أنه قال**: «لم يدعني أبي أشتغل في الحديث حتىٰ قرأت القرآن علىٰ الفضل بن شاذان الرازي، ثم كتبت الحديث»[٢].

- **الخامس**: ما جاء عن أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٠هـ).

**فقد جاء في ترجمته أنه قال**: «كنت أقرأ علىٰ المشايخ وأنا صبي، فقال الناس: أنت أُبَيٌّ، لجودة قراءتي»[٣].

- **السادس**: ما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ).

فقد جاء في ترجمته أنه قرأ القرآن، والفقه، وناظر، واستدل، وهو دون البلوغ.

وبرع في التفسير، وأفتىٰ، ودرَّس، وله نحو العشرين[٤].

والشاهد من ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قرأ القرآن وحفظه وهو دون البلوغ، ثم برع في تفسيره بعد ذلك، فليتق الله من ينسب إليه خلاف ما هو عليه، وسيأتي شيءٌ من أقواله الصريحة في هذا الباب، وما أكثرها.

- **السابع**: ما جاء عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠٦هـ).

**فقد جاء في ترجمته**: «وقرأ القرآن بها حتىٰ حفظه وأتقنه قبل بلوغه العشر،

---

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٣ / ٤٠٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٦٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٦ – ١٣).

(٤) انظر هذا الكلام من ترجمته في كتاب: «القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي» (ص: ٥).

وكان حاد الفهم، سريع الإدراك والحفظ، يتعجب أهله من فطنته، وذكائه.

وبعد حفظ القرآن، اشتغل بالعلم، وجد في الطلب، وأدرك بعض الإرب قبل رحلته لطلب العلم، وكان سريع الكتابة، ربما كتب الكراسة في المجلس»[١].

والشاهد من ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قد اشتغل بالعلم، وجد في الطلب، بعد أن حفظ القرآن ...

- **الثامن**: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣٣هـ).

**فقد جاء في ترجمته**: «هو الحافظ المحدِّث الفقيه المجتهد، الثقة، أوحد الحُفَّاظ، تاج عصره جمال الزمان ...

كان آيةً في العلم والحلم، والحفظ والذكاء، له المعرفة التامة في الحديث ورجاله، وصحيحه وحسنه وضعيفه، والفقه والتفسير والنحو.

وكان في معرفة رجال الحديث يسامي أكابر الحُفَّاظ، وضُرِب به المثل في زمنه بالذكاء، وكان حسن الخط، ليس في زمنه من يكتب بالقلم مثله ...

برع في الفنون، كانت له اليد الطولىٰ في الحديث ورجاله؛ يُروىٰ عنه أنه كان يقول: أنا برجال الحديث أعرف مني برجال الدرعية.

لم ير شخص حصل له من الكمال والعلوم، والصفات الحميدة، التي لم يحصل بها الكمال لسواه، علىٰ صغر سنه.

صنَّف شرح كتاب التوحيد لجده، فمَن بعدَه عيالٌ عليه؛ ولكنه لم يُكمِله، وله حاشيةٌ علىٰ شرحه، والدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك، كان طلبة العلم يحفظونها عن ظهر قلب، ورسالة في عدد الجمعة لم ينسج علىٰ منوالها، وأجوبة

---

(١) الدرر السنية (١ / ٣٧٥).

فرقناها علىٰ حسب الترتيب، ومن وقف علىٰ كلامه، شهد له بالشهامة والجودة، والذكاء والحفظ، وحسن الفهم»[١].

**قلت**: تُوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وقد شهد له الجميع بالحفظ، وبالعلم حتىٰ نال الإمامة في الدين علىٰ صغر سنه.

ثم هو لم يحفظ القرآن في الصِّغر، كما يزعم أصحاب القول الجديد المُحدَث، فيا عجبًا!!

ثم لو سلَّمنا لكم جدلاً بأنه لم يكن حافظًا للقرآن في صغره، فلماذا لم يَحكم علىٰ جدِّه؛ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه مخالفٌ لهدي الصحابة، ومنهجهم، وقد حفظ القرآن دون العاشرة من عمره، وقبل أن يطلب العلم كما في ترجمته!!.

لماذا لم يَحكم عليه مادام يرىٰ فعله انحرافًا عن السنة، ومخالفًا لهدي الصحابة، وخروجًا عن هديهم، أم أنه يجامل، ويكيل بمكيالين، فيحكم علىٰ البعيد، ويترك القريب!!.

**ثم أقول**: هذه بعض تراجم السلف، وغيرها كثير، كلها تدل دلالةً واضحةً وصريحةً علىٰ أن حفظ القرآن في الصِّغر هديٌ سُنيٌّ سلفيٌّ، معروفٌ ومشهورٌ عند سلف هذه الأمة، فمَن قَبِلَها واقتنَع بها أراح واستراح، ومن لم يَقْبَلْهَا، ولم يَقتنِع بها، فليتتبَّع كتب العقائد، والتراجم، والسِّيَر، ولينظر كم سيضيع من عمره لكيْ يُخرِج من هذه الكتب والمصنفات كل ما يراه ضعيفًا، فينقذ الأمة من الضياع الذي ستتسبب به هذه الكتب والمصنفات!!.

---

(١) الدرر السنية (١٦ / ٣٧٥).

**وأختم هذا الوجه بذكر شيء من أقوال أئمة السنة في هذا الباب:**

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**: «ومعلوم أن القراءة في الصلاة ليس المقصود بها القراءة عند القبر، ومع هذا فالفرق بين ما يفعل ضمنًا وتبعًا، وما يفعل لأجل القبر، بُيِّنَ كما تقدم، والوقوف التي وقفها الناس علىٰ القراءة عند قبورهم، فيها من الفائدة أنها تُعين علىٰ حفظ القرآن، وأنها رزقٌ لحُفَّاظ القرآن، وباعثةٌ لهم علىٰ حفظه ودرسه وملازمته، وإنْ قُدِّرَ أنَّ القارئ لا يُثاب علىٰ قراءته فهو مما يُحفَظ به الدين، كما يُحفَظ بقراءة الفاجر، وجهاد الفاجر، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الله يُؤيِّد هذا الدين بالرجل الفاجر**» »[1].

**وسئل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيما طلب القرآن أو العلم أفضل؟.

**فأجاب**: «أما العلم الذي يجب علىٰ الإنسان عيناً كعلم ما أمر الله به وما نهىٰ الله عنه؛ فهو مُقدَّمٌ علىٰ حفظ ما لا يجب من القرآن، فإن طلب العلم الأول واجب، وطلب الثاني مستحب، والواجب مُقدَّمٌ علىٰ المستحب.

**وأما طلب حفظ القرآن**: فهو مُقدَّمٌ علىٰ كثيرٍ مما تُسمِّيه الناس علمًا: وهو إما باطلٌ أو قليل النفع.

وهو أيضًا مُقدَّمٌ في التعلم في حق من يُريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثيرٌ من أهل البدع من الأعاجم وغيرهم؛ حيث يشتغل أحدهم بشيءٍ من فضول العلم من الكلام أو الجدال والخلاف أو الفروع النادرة أو التقليد الذي لا يحتاج إليه أو غرائب الحديث

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢ / ٢٦٥).

التي لا تثبت ولا ينتفع بها وكثير من الرياضيات التي لا تقوم عليها حجة، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله، فلابد في مثل هذه المسألة من التفصيل، والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه هِمَّة حافظه؛ لم يكن من أهل العلم والدين[(١)]، والله سبحانه أعلم»[(٢)].

**وقال**: «قال الرافضي: «الثالث: أن الإمام يجب أن يكون حافظًا للشرع؛ لانقطاع الوحي بموت النبي ﷺ وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل الأحكام الجزئية الواقعة إلىٰ يوم القيامة، فلابد من إمام منصوب من الله تعالىٰ، معصوم من الزلل والخطأ، لئلا يترك بعض الأحكام، أو يزيد فيها عمدًا أو سهوًا، وغير عليٍّ لم يكن كذلك بالإجماع».

**والجواب من وجوه:**

**أحدها**: أنا لا نُسلِّم أنه يجب أن يكون حافظًا للشرع، بل يجب أن تكون الأمة حافظةً للشرع.

وحفظ الشرع يحصل بمجموع الأمة كما يحصل بالواحد، بل الشرع إذا نقله أهل التواتر كان خيرًا من أن ينقله واحدٌ منهم ...

**إلىٰ أن قال:**

**الوجه الثامن**: أن يُقال: لماذا لا يجوز أن تكون العصمة في الحفظ والبلاغ ثابتةً لكل طائفةٍ بحسب ما حملته من الشرع.

---

(١) والفرق واضحٌ جدًّا بين كلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحثه علىٰ فهم معاني القرآن والعمل به، دون أن يحصر الحفظ في هذه الطريقة فقط، ويُضلِّل من خالفها، وبين «مجموعة النهج - غير - الواضح»؛ التي حصرت الحفظ في هذه الطريقة فقط، وضَلَّلت من خالفها!!.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٣ / ٥٤).

فالقراء معصومون في حفظ القرآن وتبليغه، والمحدِّثون معصومون في حفظ الحديث وتبليغه، والفقهاء معصومون في فهم الكلام والاستدلال علىٰ الأحكام، وهذا هو الواقع المعلوم الذي أغنىٰ الله به عن واحدٍ معدوم»[(١)].

**وقال الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٤٢٠هـ)**: «أنا مثلاً يومئذٍ كنت وأنا وراء الطاولة في الدكان، أضع المصحف، وأفتحه أمامي، وأحفظ بقدر ما أستطيع، مع أني لم أوتَ حافظةً تُذكَر، فكنت أحفظ ما شاء الله، لكن كل ما تعمَّقت بالعلم وبالحديث ما بقي عندي إلا الشيء القليل من الحفظ الذي كنت حفظته، أعني بهذا الكلام كله: أن حفظ القرآن يحتاج إذًا إلىٰ شيئين أساسيَّين:

**الشيء الأول**: الحافظة القوية.

**الشيء الثاني**: الفراغ، الفراغ الذي يُمكِّن الإنسان من أن يحفظ، كما ضرب مثال أبو عدنان الله يجزيه الخير بنفسه، ومثال بسيط من طرفي أنا، وما استمررت علىٰ ذلك – مع الأسف –[(٢)]، لذلك ما نستطيع أن نقول لكل إنسان: احفظ لك

---

(١) منهاج السنة (٦ / ٤٥٧ – ٤٦١).

(٢) الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحسَّر علىٰ عدم استمراره في حفظ القرآن، وأتباع «النهج – غير – الواضح» يتحسَّرون علىٰ حفظهم له، وعلىٰ تحفيظه الصغار وغيرهم، كما هو ثابتٌ عنهم، وقد قال قائلهم:

«أقول حفظكم الله، عائشة زوج النبي في حادثة الإفك تقول كما في الصحيحين وأنا جارية حديثة السن لا أحفظ كثيرًا من القرآن، وهنا وقفة، كيف ولِمَ لا تحفظ كثيرًا؛ ورسول الله ﷺ زوجها، والصِّدِّيق والدها، ونحن في قريتنا جملة كثيرة من الصغار يحفظون القرآن، نعم يحتاج الأمر إلىٰ تأمل، نعم؛ وحفظ القرآن من فضائل الأعمال، ولكن كيف تعامل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع هذا الفضل، فقف وتأمل، وخير الهدي هدي نبينا وأصحابه»اهـ.

وقال الآخر مؤيِّدًا قول الأول: «لخَّصت بهذا الأثر ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، ويُصدِّق ما تفضَّلت فيه أن ابن عمر وبإسناد صحيح حفظ البقرة بأربع سنين، «وأنا حفظتها بأربع أيام»؛ هكذا كانوا يُعلِّموننا «للأسف»، احفظ ثم بعدها تتعلم، فبالأول نجمع المتون وأولها القرآن ...»اهـ بتعديل بعض ما نطق به بالعامية.

مائتين آية، هذا ليس مُيسَّر إلا للقليل، فهنيئًا لحَفَظَة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن بشرط أن يكون القصد من وراء ذلك هو ابتغاء وجه الله، وإلا ذهبت أتعابهم هباءً منثورًا»[١].

**وسئل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بالنسبة لطلب العلم إذا بدأ الإنسان طلب العلم في سِنٍّ متأخرة يعني كالثامنة عشر، فهل الأفضل له أن يُتم حفظ القرآن ثم يبدأ بالعلوم الأخرىٰ؛ بالذات علوم الآلة أم ماذا؟ نرجو التفصيل؟.

**فأجاب**: «إذا كان المقصود بطلب العلم هو العلم الكفائي؛ يعني: هو حصَّل من العلم ما يُصحِّح به عقيدته، ويُصحِّح عبادته، وسلوكه، ولكنه لم يتوسَّع في ذلك، فهو يُريد أن يتوسَّع، أي: أن يقوم بالعلم الذي هو فرضٌ كفائيٌّ وليس بفرضٍ عيني، حينئذ نقول: له الخيرة في أن يستمر في حفظ القرآن؛ لأنه فرضٌ كفائيٌّ أيضًا، وبين أن يطلب العلم ولو كان تأخَّر كما ذكرت في السؤال بطلب العلم، وإنما علىٰ مثل هذا أن يُلاحظ استعداده الفطري، فَرُبَّ أشخاصٍ من الطلاب استعدادهم الفطري الحفظ، وليس استعدادهم الفطري الفهم للأحكام الشرعية، وضبطها أيضًا وحفظها، فإذن بالشرط الذي سبق بيانه وهو: إن كان قد حصَّل الفرض العيني من العلم فهو مُخيَّرٌ بين أن يطلب العلم ولو علىٰ سِنٍّ متأخر أو أن يستمر في حفظه للقرآن والعناية به»[٢].

**وسئل**: عندنا من أهل العلم من يوجب حفظ القرآن خاصةً في هذا الزمان؛ لقلة حملته، ويصفون من لم يسلك ذلك بالضلال، وخاصة من كان من طلاب الحديث؟.

**فأجاب**: الأجوبة كلها متماثلة، هذا فرض كفائي وليس بفرضٍ عيني، لكن

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٢٦٥).

(٢) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٧٢٩).

علىٰ من كان طالبًا للحديث؛ فأُوتِي حافظةً قويةً، فجمع بين حفظ القرآن وحفظ ما تيسَّر من الحديث؛ هذا بلا شك نورٌ علىٰ نور، لكن لا يُقال بأن من لا يفعل ذلك يكون في ضلال؛ لأنه يوجد كثيرٌ من الناس لا يحفظون من القرآن إلا ما تصح به صلاتهم، مثلاً الفاتحة، ولا يحفظون شيئًا من أحاديث الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ إطلاقًا، فلا يجوز شرعًا أن يوصف هؤلاء بالضلال، لأن هؤلاء لا يجب عليهم فرضًا عينيًّا ليكونوا من حُفَّاظ القرآن، ولا علىٰ غيرهم، وإنما بلا شك يجب أن يكون في المسلمين حُفَّاظٌ لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ عن ظهر قلب، كما أنه يجب أن يكون في المسلمين علماءٌ للحديث، وكذلك يُقال في سائر العلوم حتىٰ العلوم غير الشرعية؛ كالطب مثلاً والفيزياء والكيمياء ونحو ذلك، لأن كل هذه العلوم تساعد المسلمين وتساعد دعوتهم، لكن هذا ليس كما شرحنا من قبل فرض عين؛ كما يجب علىٰ المسلم أن يتعلم كيف يُصلي مثلاً، كيف يتطهَّر، كيف يتوضَّأ؟ فكل هذه الأسئلة في الحقيقة نابعةٌ من مَعِينٍ واحد، لكن السؤال الأخير فيه انحرافٌ خطيرٌ فيما يحكيه عن بعضهم أنه يقول: يجب علىٰ طالب علم الحديث أن يحفظ القرآن، وإلا يكون في ضلال، هذا القول هو الضلال، وهو الجهل بعينه[1]، ومعناه عدم التفريق بين الفرض الكفائي وبين الفرض العيني»[2].

**وسئل**: هل يجب علىٰ طالب العلم الشرعي حفظ القرآن؟.

**فأجاب**: هذا من الأمور الكفائية؛ التي إذا قام به البعض سقط عن الباقين،

(١) كما أن القول بتضليل من يقرأ القرآن أو يحفظه دون أن يجمع بينه وبين فهمه وتفسيره، وإخراجه عن هدي الصحابة، وعن جماعتهم، هو الضلال، وهو الجهل بعينه.

(٢) متفرقات للألباني، الشريط رقم: (٦٦).

أما الفضل فحدِّث ولا حرج، لكن الحكم: لا يجب علىٰ كل مسلم؛ لعدم وجود الدليل الموجب لحفظ القرآن علىٰ كل فردٍ من أفراد المسلمين»[١].

**وسئل**: يسأل بعض الناس، فيقول: ماذا ينصح الشيخ حفظه الله طالب العلم في بداية طلبه، هل يحثه علىٰ حفظ وإتقان القرآن الكريم، أم علىٰ معرفة السنن والبدع وطلب العلم الشرعي، وصحة الأحاديث وضعفها؟ وما هو الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله تعالىٰ عليهم، معرفة القرآن أم الحديث؟ يعني في بداية طلبهم؟.

**فأجاب**: «هذا السؤال يتكرَّر عن كثيرٍ من الشباب، لا يمكن إعطاء جواب موحد أو جامد لكل الشباب، هذا السائل مثلاً، أنا أقول له: إن كنت أوتيت حفظًا يساعدك علىٰ أن تحفظ القرآن، فينبغي أن تحفظ القرآن، لكن من حيث معرفتنا بواقع الناس، هل كل الناس يُعطَون حفظًا سمحًا، عندهم استطاعة للحفظ بسرعة، وضبط هذا الحفظ، وإبقاؤه في أذهانهم أمدًا طويلاً، أنا في ظني أن هذا شيءٌ نادرٌ، نادرٌ جدًّا، فإذا كان السائل يشعر بنفسه أنه أُوتِي حافظةً قويةً، فليُعنَىٰ بحفظ القرآن، ولا ينبغي أن تكون عنايته هذه مجرد حفظ، بل عليه أن يدرس القرآن علىٰ شيخ عالم مقرئ مجوِّد، فيحضر عنده شهورًا، وربما سنين، حتىٰ يُتقن قراءة القرآن كما ينبغي، وفي هذه الأثناء إذا شغل نفسه بحفظ القرآن، فهو يكون نورٌ علىٰ نور، أما أن يحفظ فقط للحفظ، ثم إذا هو تلا؛ لا يُحسن تلاوة القرآن كما أُنزِل، فهذا الحفظ يكون وبالاً عليه، فإذن: حفظ القرآن الذي ننشده ونعنيه؛ هو أن يحفظ كما أنزله الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا لا يكون إلا بأن يقرأ هذا

---

(١) الفتاوىٰ الإماراتية، الشريط رقم: (٤).

الطالب، يختم القرآن علىٰ عالم مقرئ جيد»[١].

**وسئل**: هل يجوز لرجل أن يَؤُم الناس في صلاة التراويح وهو يقرأ من المصحف؟.

**فأجاب**: «هذه مسألةٌ اختلف فيها العلماء منذ القديم، منهم من أجاز ذلك، ومنهم من كرهه، أنا أضع نفسي مع الذين كرهوا لسببين اثنين:

**السبب الأول**: أنه لم يكن من عمل السلف، السلف الصالح ما كانوا يقرؤون في صلاة التراويح يَؤُمُّون الناس والمصاحف بأيديهم، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ جدًّا، لماذا؟

انظر للنتائج كيف تختلف، لأن أئمتهم ما كانوا مثل أئمتنا، أئمتهم كانوا علماء، كانوا حُفَّاظًا لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، اليوم أكثر أئمتنا مُحوِّشين ولا مؤاخذة تحويش؛ لأنه صارت الإمامة وظيفة كأي وظيفة من وظائف الدولة، المفروض في الإمام أن يحفظ قسمًا كبيرًا، إذا ما قلنا يحفظ القرآن كله من أوله إلىٰ آخره، فأن يحفظ قسمًا كبيرًا من كلام الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ يَؤُم الناس، ولا يملوا قراءته؛ لأن الإنسان طبيعته الملل، ولو كان يسمع كلام الله، فهو يَمل، لكن لو ينوع الإمام، كل كم يوم يسمع له آية جديدة؟ خاصة إذا وضع ذهنه فيما يتلو الإمام تصير الفائدة مزدوجة.

فالأمر الأول إذًا هو لأن السلف الصالح، ما كانوا يَؤُمُّون الناس والمصاحف في أيديهم.

**والسبب الثاني**: فُهِم ضمنًا، أننا إذا فتحنا باب تجويز إمامة الأئمة للناس من المصحف صرفنا الأئمة عن العناية بحفظ القرآن.

علمًا بأن القرآن حفظه ليس بالأمر السهل، وقد أشار الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٦٧).

هذا الأمر، بقوله: «اقرءوا هذا القرآن وتغنَّوا به، فوالذي نفس محمدٍ بيده إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من الإبل من عُقُلِها»، أنتم معشر العرب تعرفون هذا الكلام الذي يقوله الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ أشد تفلتًا من الإبل من عُقُلِها، هكذا القرآن يتفلَّت من صدر الحافظ إلا مادام عليه قائمًا بالحفظ، الناس اليوم يَطلبون الراحة وأنت لَمَّا تقول للناس اقرءوا من المصحف أَرَحْتَهُم، وليس هذا من مقاصد الشريعة، المقاصد هي أنك تَحُضُّهم علىٰ العناية بالقرآن، كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**اقرءوا هذا القرآن**»، مفهوم «**وتغنَّوا به**» ...»[1].

**وسئل:** ألحَظُ أيضًا مما ألحَظُه مع هذه الصحوة الطيبة والإقبال علىٰ العلم أن نسبة الإقبال علىٰ حفظ كتاب الله وبالذات تفسيره؛ دروسٌ قليلةٌ جدًّا إن لم تكن معدومة، فما رأيكم؟.

**فأجاب:** «هذا ما قلته أنا في بعض الجلسات، يا جماعة خلينا نشوف واحد منكم يحفظ القرآن، حتىٰ أنا مثلاً إذا احتجت إلىٰ آية وأنا لا أستطيع أن أستحضرها؛ فأنا أستعين ببعضكم، لا يوجد من يحفظ القرآن إلا ما ندر جدًّا، والسبب هو كله يدور إلىٰ أن طلب العلم اليوم ليس خالصًا لوجه الله»[2].

**وسئل:** هل يجوز أن يمسك القرآن الكريم في الصلاة المكتوبة، يعني يقرأ حاضرًا؟.

**فأجاب:** «أما في المكتوبة فأمرٌ ما أظن أن أحدًا يقول بشرعيَّته، وإنما الخلاف المعروف إنما هو في النافلة، بل وليس في كل نافلة، وإنما في قيام الليل،

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (١٣٠).

(٢) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٥٩٩).

بل وليس في كل قيامٍ من الليل، وإنما هو في قيام الليل خاصة في رمضان.

الخلاف في هذا الموطن فقط، فمنهم من يرىٰ ذلك ويُجيزه، وبخاصة إذا كان الإمام لا يحفظ كثيرًا من القرآن، ومنهم من لا يرىٰ شرعيَّة ذلك، وأنا مع هؤلاء لسببين اثنين:

**السبب الأول**: أنه لم يكن معروفًا في عهد السلف، وأنا أعني ما أقول حينما أقول لم يكن معروفًا في عهد السلف، أي كظاهرةٍ دينيةٍ اجتماعيةٍ، فلا يَعترِضَنَّ أحدٌ بقوله أن هناك روايةً أن عبدًا لعائشة رضي الله تعالىٰ عنها كان يَؤُمُّها من المصحف، فإن هذه روايةٌ مع صِحَّتِها لا تُخالف ما قُلتُه لكم آنفًا، لأن كون الشيء يقع في مكانٍ محصورٍ بين جدرانٍ أربعة، وبين شيءٍ يُعلَن علىٰ الملأ جميعًا ثم لا أحد يُنكر ذلك، فهذا الذي نقوله وندخله في عموم قولنا آنفًا: وكل خير في اتباع من سلف، أي: إذا كان هناك عملٌ اشتهر فِعله بين السلف، دون أن يكون بينهم أيُّ خلافٍ، فهذا نحن نتَّبِعه، ونُسلِّم له، أما في مثل ما نحن في صدده الآن أن السيدة عائشة كان يَؤُمُّها عبدها من المصحف المفتوح بين يديه، فهذه قضيةٌ خاصةٌ قد تكون لها أسبابها وملابساتها.

**هذا هو السبب الأول**: خلاصته أنه لم يكن معروفًا في عهد السلف كما هو المعروف اليوم في عهد الخلف، ففي كثيرٍ من المساجد، في كثيرٍ من البلاد، تجدون الإمام قد وضع المصحف في مثل هذه الطاولة وهو يقرأ منه، هذه ظاهرةٌ لم تكن إطلاقًا فيما مضىٰ من السلف الصالح، لذلك هنا نحن نقول: وكل خيرٍ في اتباع من سلف، هذا هو الأمر الأول.

**الأمر الآخر**: أن القول بجواز هذا العمل فضلاً عن القول بشرعيَّته يلزم منه

معاكسة أو على الأقل مخالفة توجيهات نبوية كريمة، وهي تدور كلها حول الحض للمسلم الذي يعتني بإمامة الناس، والإمامة تستلزم أن يكون متميزًا في حفظه للقرآن؛ لأن ذلك هو السبب الأول الذي يجعل للحافظ حق الأولوية في إمامة الناس، كما جاء في صحيح مسلم: «**يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء؛ فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرةً فإن كانوا في الهجرة سواء، فأكبرهم سِنًّا**».

إذًا المرتبة الأولى التي بها يستحق المتَّصِف بهاالإمامية هو حفظ القرآن.

فهذا الحفظ لكيْ لا يَفلت ولا يذهب من الحافظ ما تعب على حفظه برهةً من الزمان قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**تعاهدوا هذا القرآن وتغنَّوا به، فوالذي نفس محمدٍ بيده إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من الإبل من عُقُلِها**»؛ تعاهدوا هذا القرآن.

ففتح باب تجويز القراءة من الإمام من المصحف يَصرفه كما يقال اليوم أوتوماتيكيًّا عن تنفيذ الأمر النبوي: «**تعاهدوا هذا القرآن**»؛ لماذا يتعاهد؟ وها هم العلماء يُجيزون له أن يقرأ من القرآن المفتوح بين يديه، هذا أمرٌ لابد منه، أي: فتح باب القول بجواز القراءة من المصحف من الإمام؛ من آثاره السيئة عدم الاهتمام بحفظ القرآن ...»[1].

**وقال:** «فالنبي ﷺ كان حريصًا بالمسلمين أن يهتموا بحفظ القرآن، وأن يتغنَّوا به، حتى قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**من لم يتغنَّ بالقرآن فليس منا**»، وقال في حديث آخر: «**تعاهدوا هذا القرآن وتغنَّوا به، فوالذي نفس محمدٍ بيده إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من الإبل من عُقُلِها**»، فأصبح الشباب المسلم اليوم ينصرف عن

---

(١) سلسلة الهدى والنور، الشريط رقم: (٦١٨).

تعاهد القرآن، وعن التَّغَنِّي به، كما أمر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، إلىٰ التَّغَنِّي بالأناشيد المُسمَّاة بغير اسمها: أناشيد دينية، أناشيد إسلامية، والحقيقة أنني أرىٰ في العصر الحاضر أن من مكر الشيطان بكثيرٍ من المسلمين أنه يصرفهم عن المشروع بغير المشروع بأسماء برَّاقة، وأكثر الناس كما قال رب العالمين لا يعلمون»[1].

والأقوال في هذا الباب أكثر من أن تُحصَر، وفيما ذكرته كفاية لمن أراد الله هدايته، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

ومن أعجب ما رأيت حقيقةً فيما أثاره القائلون بأن حفظ القرآن علىٰ خلاف الطريقة التي ذكرها أبو عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخالفٌ لهدي السلف، ما يأتي:

**الأمر الأول:** الاستدلال بحديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ هذا القول.

**وفيه:** «قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة، فقال: أَيُّكُم يُحِبُّ أن يَغدُوَ كلَّ يومٍ إلىٰ بُطْحَانَ أو إلىٰ العَقِيق فيَأتِيَ منه بناقَتَين كَوْمَاوَيْنِ[2] في غيرِ إثمٍ ولا قَطْعِ رَحِمٍ. فقلنا يا رسول الله نُحِبُّ ذلك. قال: أفلا يَغدُو أحدُكُم إلىٰ المسجد فيَعْلَمُ أو يَقرأُ آيتين من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ خيرٌ له من ناقَتَين، وثلاثٌ خيرٌ له من ثلاثٍ، وأربعٌ خيرٌ له من أربعٍ، ومن أعدادهن من الإبل».

**قلت:** وهذا الحديث حجةٌ علىٰ قائله، ومُبطِلٌ لقوله، يُدرك ذلك كل من تدبَّره، فتعلَّم آيةً خيرٌ له من ناقةٍ، وتعلَّم آيتَين خيرٌ له من ناقتين، وعشرَ آياتٍ خيرٌ له من عشرٍ، ومائةَ آيةٍ خيرٌ له من مائةٍ، وألفَ آيةٍ خيرٌ له من ألفٍ، ومن أعدادهن من الإبل.

فمع وضوح معناه، هذا ما يذكره الشراح أيضًا.

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (١٠٦٩).

(٢) الكوماء: الناقة العظيمة السنام.

**قال العلامة محمود محمد خطاب السبكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٥٢هـ):**

«**(قوله وإنْ ثَلاثٌ فثَلاثٌ إلخ) أي**: وإن كان الذي يتعلمه ثلاث آيات فهن خيرٌ من النوق الثلاث، وفي رواية مسلم وأربع خيرٌ من أربع، ومثل أعدادهن مثل أعدادهن من الإبل، أي: وسائر الأعداد من الآيات خيرٌ من مثل أعدادهن من الإبل، ويحتمل أن يكون المعنىٰ أن آيتين خيرٌ من ناقتين ومن أعدادهما من الإبل، وثلاثٌ خيرٌ من ثلاثٍ ومن أعدادهن من الإبل، وكذا أربع، والحاصل أن الآيات تفضل علىٰ أعدادهن من النوق ومن أعدادهن من الإبل، وهذا من باب التمثيل والتقريب وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن تقابل بمعرفة شيء من كتاب الله تعالىٰ، وفي هذا كله الترغيب في تعلم القرآن»[1].

**الأمر الثاني**: الاستدلال بحديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا علىٰ هذا القول.

**وفيه**: «قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن».

**قلت**: وهذا الحديث أيضًا حجةٌ علىٰ قائله، ومُبطِلٌ لقوله، وذلك أن فيه: «لا أقرأ كثيرًا من القرآن»، لا أنها لا تقرأ شيئًا منه، وذلك يعني: أن أصل الحفظ موجودٌ عندها، فهي تحفظ من القرآن ما تحفظ، كما هو حال كثيرٍ من الصحابة، كما مرَّ معنا من قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حين قال: «وما من الصحابة إلا من حفظ بعضه، وكان يحفظ بعضهم ما لا يحفظه الآخر».

هذا كان حال الصحابة، ومنهم عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

فكونها حفظت من القرآن ولو قليلاً، ولم تكتفِ بحفظ ما هو واجبٌ وفرضُ عينٍ عليها، مما يَصح به صلاتها، لخير دليل علىٰ أنها قد تعدَّت ما هو واجبٌ

---

(١) المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود (٨ / ١٠٣).

عليها، إلىٰ ما هو فرض كفاية، وما هو من المستحبات، وهذا وحده يكفي لأن نُثبت الحفظ، وأنه هديٌ سنيٌّ سلفيٌّ، لا أن ننفيه بالكلية!!.

**ثم**: مَن مِن العلماء قد سبقكم إلىٰ هذا الفهم، وخرج من هذا الحديث بمثل ما خرجتم به علينا؟!!، وأنه لا يجوز للمسلم أن يحفظ شيئًا من القرآن إلا علىٰ هذه الطريقة التي ذكرها أبو عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإلا كان مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم!!.

**وقد قال شُراح الحديث**: «لا أقرأ كثيرًا من القرآن»: وهذا توطئةٌ لعذرها في عدم استحضارها اسم يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فالأمر مختلفٌ تمامًا عمَّا يُستنبَط ويُقرَّر لخدمة هذا الهدي الجديد المُحدَث في حفظ القرآن.

**الأمر الثالث**: وهو والله الطامة الكبرىٰ، فمن كان يتصوَّر أن يَصل الحال ببعض السلفيين لأنْ يتحسَّروا علىٰ حفظهم القرآن، أو تحفيظه أولادهم، أو أهل قريتهم، أو غير ذلك، بدعوىٰ أن حفظه علىٰ غير طريقة أبي عبد الرحمن السُّلَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخالفٌ لهدي الصحابة، وخروجٌ عن جماعتهم!!.

**حتىٰ قال قائلهم متحسِّرًا**: «أقول حفظكم الله، عائشة زوج النبي في حادثة الإفك تقول كما في الصحيحين وأنا جارية حديثة السن لا أحفظ كثيرًا من القرآن.

**وهنا وقفة**: كيف ولم لا تحفظ كثيرًا ورسول الله ﷺ زوجها، والصِّدِّيق والدها، ونحن في قريتنا جملة كثيرة من الصغار يحفظون القرآن.

نعم يحتاج الأمر إلىٰ تأمل، نعم وحفظ القرآن من فضائل الأعمال، ولكن كيف تعامل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع هذا الفضل، فقف وتأمل وخير الهدي هدي

نبينا وأصحابه»اهـ.

ورحم الله الإمام الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، فقد مرَّ معنا قوله وهو يتحسَّر علىٰ عدم حفظه القرآن، حيث قال:

«أنا مثلاً يومئذٍ كنت وأنا وراء الطاولة في الدكان، أضع المصحف، وأفتحه أمامي، وأحفظ بقدر ما أستطيع، مع أني لم أوتَ حافظة تُذكر، فكنت أحفظ ما شاء الله ... وما استمررت علىٰ ذلك، مع الأسف»(١).

**وفي ختام هذه الرسالة لا أزيد علىٰ أن أقول:** هذا هدي النبي ﷺ في حفظ القرآن، وهذا هدي أصحابه رضي الله عنهم، وهذا هدي السلف الصالح إلىٰ يومنا هذا، وهم قدوتنا، فمن قبله فالحمد لله، ونسأل الله لنا وله التوفيق والسداد، ومن لم يَقبله، فلا يسعنا إلا أن ندعو له بالهداية والرشاد، وأن نقول له:

أما نحن فقد ذكرنا قدوتنا، ومن هم معنا فيما نقول ونقرر، وأما أنتم فمن هم قدوتكم؟! إذ لم نجد لكم قدوةً إلا ما وجدناه عمَّن هو بعيدٌ كل البعد عن السنة وأهلها، وما أكثرهم، وأقوالهم منشورة علىٰ شبكة الإنترنت، من السهل الوصول إليها، فمن قائل: «تحفيظ القرآن ليس عبادة»، ومن قائل: «عدد الصحابة كان ١٢٤ ألف، فما عدد من كان يحفظ القرآن كاملاً منهم؟»، ومن قائل: «تحفيظ القرآن للصغار بلية ومصيبة!»، وغير هذه الضلالات كثير!!، كفىٰ الله المسلمين شرها، وشر أهلها.

ومثل هؤلاء؛ فلسنا ممن يَرفع بهم ولا بأفكارهم وتقريراتهم ومناهجهم رأسًا، فإن وجدتم في السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن الأئمة

---

(١) سلسلة الهدىٰ والنور، الشريط رقم: (٢٦٥).

السلفيين المتبوعين، من قال في قراءة القرآن وفي حفظه بمثل قول هؤلاء، ومن فهم المسألة بمثل ما فهموها، وصرح بمثل ما صرَّحوا به، فَسَمُّوهم لنا، وهيهات هيهات!!.

ألا وليعلم كل من وقف علىٰ رسالتي هذه أني لم أكتبها لا نصرًا لفلان من الناس، ولا نكاية في فلان من الناس، وإنما كتبتها نصرةً لدين الله عَزَّوَجَلَّ، ولسنة النبي ﷺ، وأسأل الله العلي القدير أن يتقبَّلها مني، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

**وأذكر نفسي وإياكم بقوله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].

هذا آخر ما قصدت إليه في هذه الرسالة، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان وسار علىٰ دربهم واقتفىٰ أثرهم إلىٰ يوم الدين.

كتبه

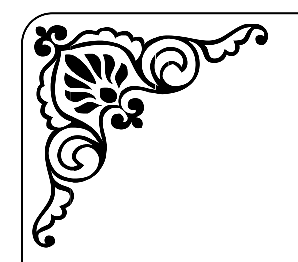
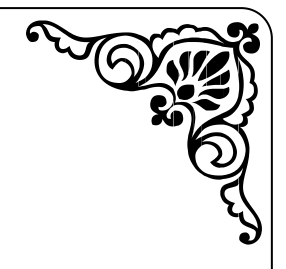
**علي حسين الفيلكاوي**

**وتم الانتهاء منه سوى الحواشي وبعض الإصلاحات**

**يوم الأحد ٢٨ ذو القعدة ١٤٤١هـ**

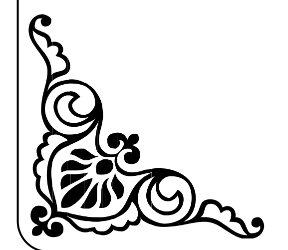
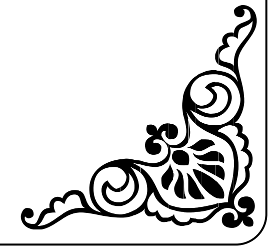
**الموافق: ١٩ / ٧ / ٢٠٢٠ م**



# غَرائِبُ وعَجائِبُ في التَّعامُلِ مَعَ المسائِلِ

## مَسألةُ القُرآنِ أُنموذجًا

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

*أما بعد:*

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**ثم أما بعد:**

فإن من غرائب القائلين بإخراج حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي السلف وعجائبهم[1]؛ أنهم إلىٰ يومنا هذا يحومون حول الحمىٰ، ولا يُصرِّحون

---

(١) قد أذكرُ في هذه الرسالة لفظة: «السلف» في بعض الأحيان، ولفظة: «الصحابة» في أحيان أخرىٰ، وذلك لِمَا وجدته ووقفت عليه من تفريق أصحاب هذا القول الجديد المُحدَث بين «الصحابة» ومَن بعدَهم من الأئمة، فهم يَحصرون لفظة: «السلف» في «الصحابة» فقط، ويُبعِدون عنها كل من سواهم من الأئمة =

بما يعتقدون، إذ يخشون مثل هذا التصريح ولا يقوون عليه، وذلك لضعف حجتهم؛ من جهة، ولعجزهم عن إثبات هذا القول المُحدَث؛ الذي انفردوا به

=

والعلماء السلفيين؛ أهل السنة والجماعة، حتىٰ قال قائلهم مستدلاً لهذا التفريق:

«السلف هم أصحاب النبي ﷺ، كما قال التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح.

قال ابن حجر: أخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين عن عطاء قال: «لم يزل سلفك يأكلونه، قال ابن جريج: قلت له: أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: نعم»».

والاستدلال بمثل هذا الأثر علىٰ حصر لفظة: «السلف» في «الصحابة»؛ إن دلَّ علىٰ شيء، فإنما يدل دلالةً واضحةً علىٰ جهل مركب، وعلىٰ هوًىٰ متَّبَع، وما أسوء أثر هذين الأمرين علىٰ الشخص أو «المجموعة» إذا اجتمعَا فيهم، وهو ما رأيناه واضحًا جليًّا، فقد تواطأوا جميعًا علىٰ هذا الأمر، ولم نجد فيهم من يُنكره!!، وأثر هذين الأمرين السيء واضحٌ في هذا الاستدلال، وإلا فبالله عليكم: إذا كان الراوي تابعيًّا، فمن هم سلف التابعي؟! لا شك أن سلفه الصحابة، أو من سبقه من التابعين، ومن الجنون والخبال أن يظن الظان بأن سلف هذا التابعي هم من يأتي بعده بعشرات أو مئات السنين!!.

والمقصود: أن ما تقوله هذه «المجموعة» وتقرره هو خلاف ما يقرره السلفيون، فالسلفيون متىٰ ما ذكروا لفظة: «السلف»؛ فمرادهم: أهل السنة والجماعة منذ العصر الأول؛ عصر الصحابة، إلىٰ يومنا هذا، وإلىٰ أن يَرث الله الأرض ومن عليها، فكل من سلك سبيل الصحابة من التابعين وأتباع التابعين ومن الأئمة والعلماء ومن طلبة العلم، بل ومن عامة الناس، فهو سلفي، وهو داخلٌ في لفظة: «السلف»، وأدلة ذلك كثيرةٌ وكثيرةٌ جدًّا، ويكفينا من ذلك قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فمتىٰ ما ذكرتُ لفظة «السلف»؛ فافهموا عني هذا، وقد أذكرُ لفظة: «الصحابة»؛ إذا ما أردتُ الإشارة إلىٰ هذه «المجموعة»؛ «مجموعة النهج - غير - الواضح»، وذلك لكثرة دندنتهم علىٰ هذه اللفظة، إذ يَنصُّون صراحةً علىٰ أن حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه خارجٌ عن «هدي الصحابة»، ومخالفٌ لجماعتهم، ومن هنا فرَّقوا بين «الصحابة» ومَن بعدَهم، ليسلَم لهم قولهم، وليروج، وذلك أنهم قد وجدوا فيمن جاء بعد الصحابة من الأئمة والعلماء حُفاظًا كثيرين، وهذا مما يُعكِّر عليهم قولهم وفهمهم ويُبطِلهما، فالمسلم العاقل فضلًا عن السلفي المتَّبِع للسلف، لن يترك ما جرىٰ عليه عمل الأئمة والعلماء السلفيين علىٰ مر العصور والأزمان لقول هؤلاء الضائعين التائهين.

عن جماعة المسلمين؛ سلفًا وخلفًا؛ من جهة أخرىٰ.

وهذا ما حملهم علىٰ أن يتركوا الأحاديث الصحيحة الصريحة الحاثة علىٰ قراءة القرآن، وعلىٰ ترتُّب الأجور العظيمة علىٰ مُجرَّد القراءة - فضلًا عن الحفظ؛ الذي يستلزم ترديد الآيات مرات ومرات - من مثل قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله؛ فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**».

**وقوله**: «اقرءوا القرآن، فإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، ولكن ألفٌ عشرٌ، ولامٌ عشرٌ، وميمٌ عشرٌ، فتلك ثلاثون».

**أقول**: بُعد هؤلاء عن العلماء، واستقلالهم واعتدادهم بأنفسهم، أوقعهم في الانحراف عن الفهم الصحيح للنصوص والآثار، وهو ما حملهم علىٰ أن تركوا هذه الأحاديث، وتمسكوا بأقوال للأئمة والعلماء لم يفهموها فهمًا صحيحًا، إذ لو فهموها وضبطوها لعلموا أن فهمهم لها في وادٍ، ومقصود الأئمة والعلماء منها في وادٍ آخر، ولكنهم إذ جهلوا المسألة وما عليه أهل السنة فيها ابتداءً، وجهلوا بعد ذلك مقصود الأئمة والعلماء من هذه الأقوال التي نطقوا بها، مع ما أحدثوه هم من قول جديد محدث، تمسَّكوا به، وتعصَّبوا له، ثم ذهبوا يتخيرون من أقوال العلماء وعباراتهم ما يظنُّونه نافعًا لهم وخادمًا لمنهجهم، ولمذهبهم الجديد المُحدَث، وذلك ليظهروا بمظهرٍ حسن، وأنهم مُتبعون لهؤلاء الأئمة والعلماء، وسائرون علىٰ طريقهم، وكأنهم أرادوا بمثل هذه الأقوال؛ أن يُثبتوا لأنفسهم أولًا، وللمخدوعين بهم ثانيًا؛ أنهم لم يأتوا بجديد، وأن لهم علىٰ ما قالوه وقرروه سلفًا.

إذ لو لم يكن الأمر كذلك؛ لَمَا قدَّموا علىٰ أحاديث رسول الله ﷺ قول أحدٍ من الناس، ولا فهمه، كائنًا من كان، ولَمَا وجدناهم تارةً يأتوننا بقولٍ لشيخ

الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتارةً يأتوننا بقولٍ لحفيده الشيخ العلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتارةً أخرىٰ يستدلون علينا بقولٍ للعلامة ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهكذا، وهم أصحاب القاعدة الجديدة المُحدَثَة: «ائتني بصحابي واحد»، والتي لَمَّا لم يجدوا فيها بُغيَتهم أعرضوا عنها وذهبوا يُفتشون في أقوال مَن بعد الصحابة، بل وفي أقوال المتأخرين من الأئمة، لعلهم يظفرون بشيءٍ ينتصرون به لمذهبهم الجديد المُحدَث.

علمًا بأن كل هذه الأقوال التي ذكروها واستدلوا بها لنصرة قولهم في وادٍ، وفهمهم لها في وادٍ آخر، كما سيأتي، ولكن كما قيل:

**راحــتْ مُشــرِّقةً ورحــتُ مغربًــا ... شــتان بــين مُشــرِّقٍ ومُغــرِّب**

وذلك أن من تتبع هذه الأقوال وهذه الاستدلالات التي استدلوا بها لتقوية مذهبهم الجديد المُحدَث، الذي خالفوا به جماعة المسلمين، لَعلِم أنها لم تأتِ من فراغ، وإنما سببها العناد والمكابرة؛ نسأل الله السلامة والعافية؛ إذ حملهم هذا العناد وهذه المكابرة علىٰ رد الحق وعدم قبوله، من جهة، وعلىٰ توسيع دائرة البحث في الأدلة وفي أقوال العلماء؛ لعلهم يجدون فيها بغيتهم، وما يخدمهم في نصرة هذا المذهب الجديد الذي اعتقدوه، من جهة أخرىٰ، ولكن هيهات هيهات، وهو ما ظهر جليًّا من تعاملهم مع هذه الأدلة والأقوال؛ إذ فهموها بفهمٍ خاص، لم يُسبَقوا إليه، ولم يَفهمه أحدٌ قبلهم، وما ذلك منهم إلا انتصارًا لأنفسهم، وتقويةً منهم لمذهبهم الجديد المُحدَث الذي تبنوه، وإن خالفوا فيه أهل السنة جميعًا، وخرجوا عن هديهم.

وهذا في الحقيقة لا يكون إلا علىٰ القاعدة البدعية: «اعتقد ثم استدل»، وهو وحده كافٍ لأنْ يُظهِر لهم الخلل والانحراف في فهمهم لمثل هذه الأقوال، وفي

تعاملهم معها، واستدلالهم بها على ما يريدون، ولكن: الله المستعان!!.

بل إن من غرائب هؤلاء القوم، ومن عجائبهم حقيقةً؛ أن يخرجوا علينا بأقوالٍ تدل في مضمونها دلالةً واضحةً على ما يدَّعونه وينشرونه، من بدعية الاشتغال بحفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، والذي يلزم منه بدعية الاشتغال بتلاوته دون فهمٍ لمعانيه، وفي ذلك كما لا يخفى؛ صدٌّ للمسلمين وصرفٌ لهم عن كلام ربهم؛ عن حفظه، وعن تلاوته؛ إذ ينشرون بين الناس، وفي وسائل التواصل من العبارات والأقوال ما يُزهِّدهم في تلاوة القرآن، فضلًا عن حفظه، من مثل نشرهم:

«حفظه مع عدم الفهم لا يوجد في زمن النبي ﷺ والخلفاء».

«القُرَّاء عند السلف هم الذين يقرؤون القرآن ويعرفون معانِيه، أما قراءته من غير فهمٍ لمعناه؛ فلا يُوجد في ذلك العصر، وإنما حدث بعد ذلك من جملة البدع».

«أنت نجحت في الحفظ فهل نجحت بالفهم».

**إلىٰ غير ذلك من العبارات التي حاصلها:**

إما أن تحفظ القرآن أو تقرأه مع فهم معانيه، وإما أن تترك الحفظ والقراءة ولا تنشغل بهما!!؛ إذ الانشغال بهما دون تدبرٍ لمعاني القرآن وفهمٍ لها؛ خروجٌ عن هدي الصحابة رضي الله عنهم، وعن هدي السلف[1]، ووقوعٌ في البدعة!!.

---

(١) أدخلتُ هدي السلف وذكرتُه، لأنه لا يخالف هدي الصحابة، وإن كان أصحاب هذا المذهب الجديد المُحدَث لا يذكرونه، لأنهم الآن وفي سنواتهم الأخيرة يُفرقون بين هدي الصحابة وهدي من بعدهم من السلف، وهذا التفريق هو من الأمور المشهورة عنهم، والتي أحدثوها مع ما أحدثوه من مسائل جديدة في هذه السنوات الأخيرة، وذلك لكيْ تخلو لهم الساحة، ويتقوىٰ مذهبهم الجديد المُحدَث، هذا حسب ظنهم طبعًا، وذلك أنهم قد وجدوا في التابعين، وفيمن بعدهم من الأئمة والعلماء حُفاظًا كثيرين؛ قد حفظوا القرآن علىٰ خلاف الطريقة التي يدَّعونها ويزعمونها، إذ حصروا التلاوة والحفظ علىٰ طريقة واحدة، وهي المذكورة في أثر أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ!!.

ومن المعلوم أن المخالفة لهدي الصحابة، ولهدي السلف، والوقوع في البدعة؛ لا يكون إلا إذا تعبَّد المسلم ربَّه عَزَّوَجَلَّ بأمرٍ محدثٍ لا وجود له في الشرع، إذ لم يَثبت؛ لا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولا في سنة نبيه ﷺ، ولا ثبت عن أحدٍ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين أنه فعله، وأُقِرَّ عليه، إما من النبي ﷺ، أو من الصحابة!!.

فمن أي هذه الأقسام يكون حفظ القرآن أو تلاوته علىٰ خلاف أثر أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟!.

هذا لازم قولهم وقد التزموه؛ إذ نصُّوا صراحةً علىٰ بدعية هذا الفعل، وأنه فعلٌ مُحدث، لا وجود له عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1].

مع أنه لمن المعلوم أن نجاح المسلم في أحد الأمرين: إما الحفظ، أو الفهم، وتحقق أحدهما له، خيرٌ له من أنْ لا ينجح في شيءٍ منهما، ومِن أنْ لا ينال شيئًا منهما، لا حفظ، ولا فهم، بل ولا تلاوة بناءً علىٰ ما يَدعون إليه ويقررونه، وأن نجاحه في الأمرين جميعًا ونيله لهما، يكون أكمل له وأتم، ولكن: الله المستعان.

فتجدهم وللأسف يأتون بمثل هذه الأقوال، وبمثل هذه الإيرادات؛ التي لا تحتمل معنًىٰ آخر، غير التزهيد في حفظ القرآن، وفي قراءته وتلاوته، إذا ما حفظه المسلم أو قرأه وتلاه دون فهمٍ لمعانيه، وينشرونها بين المسلمين، ثم يا ويل من يفهم عنهم هذا الفهم الذي قرروه ونشروه!!.

وهذا من عجائبهم حقيقةً، فهم لا يُصرِّحون بما يعتقدون، وإنما يتركون الأمر محتملًا، مع أن قولهم مكشوفٌ لكل عاقلٍ، مُتجرِّدٍ للحق، وهم وللأسف مع انكشاف قولهم ووضوحه؛ تجدهم يرمون كل من يفهم عنهم هذا الفهم

(١) الذين هم وحدهم يمثلون السلف عند أصحاب هذا المذهب الجديد المُحدَث، والذي بسببه وبسبب فهمهم المنحرف قد فرَّقوا بين هدي الصحابة وهدي من بعدهم من السلف!!.

الذي أرادوه بالظلم والافتراء، مع علمهم بأن كلامهم وما ينشرونه لا يخرج عن هذا المفهوم، وأن هذا القول الذي فُهِم عنهم هو ما يَدعون إليه، وهو ما يريدون تقريره، بل ويعلمون علم اليقين بأنهم كاذبون بما يَدفعون به عن أنفسهم، وبما يَرمون به مخالفيهم، وأنهم أولىٰ بهذا الوصف ممن يَرمونهم به ظلمًا وزورًا وبهتانًا.

وهذا أمرٌ واضحٌ ومعلوم؛ إذ ليس من المعقول أن يُقرر الإنسان أمرًا، ثم يأتي بأقوالٍ يُقوِّي بها هذا الأمر الذي تبنَّاه، ودعا إليه، فإذا ما اعتُرِض عليه وخالفه مَن خالفه، جعل هذا الأمر شغله الشاغل، وتواطأت المجموعة بأسرها علىٰ نشره في وسائل التواصل، مُتحدِّين به مُخالفيهم، دون بيانٍ منهم لمقصدهم من نشرهم لمثل هذا الكلام؛ الذي لا يُفهم منه إلا ما فهمه مخالفوهم، ولا ماذا يريدون من وراء نشره، وقد اعترض عليهم مخالفوهم صراحةً، وبيَّنوا لهم وجهتهم فيه، مما يقطع عذرهم فيما سلكوه؛ إذ أعرضوا إعراضًا تامًّا عمَّن خالفهم، ومَضوا في طريقهم علىٰ مذهب: «عنز ولو طارت»، وهذا مسلكٌ في الحقيقة لا يسلكه إلا من يُريد الفتن، ويسعىٰ لإشعالها، وإلا فما أسهل من أن يكون الإنسان واضحًا في منهجه، وفي طريقته، وفيما يتبنَّاه من أقوال وآراء، وفيما يُقرره من مسائل - خاصةً من كان منتسبًا للسنة والسلفية، ويرىٰ نفسه من السلفيين الخُلَّص الذي لا يجاريه أحدٌ في السنة والسلفية - بدلًا من اللف والدوران، الذي لا يأتي بخير، وبدلًا من استخدام عباراتٍ لا حاجة لها إذا ما صدق الإنسان مع ربه أولًا، ومع نفسه ثانيًا، وفي تعامله مع الناس ثالثًا، من مثل قولهم: «أنتم فهمتمونا خطأ!!»، «لم تفهموا مقصدنا!!»، «لم نُرِد ما تقولون!!»، إلىٰ غير ذلك من العبارات؛ التي لا أسهل من تركها، ومن اطِّراحها، ومن عدم الحاجة إليها؛ إذا ما صرَّح العبد وبوضوحٍ تام بما يعتقده ويتبنَّاه ويقرره.

ورضي الله عن أبي سفيان وأرضاه، إذ كان حال كُفره وقبل إسلامه يوم أن كان بينه وبين هرقل ما كان، وقد منعه الحياء من أن يكذب علىٰ النبي ﷺ؛ وينسب إليه ما يَعلم براءته منه، وخشي علىٰ نفسه إن فعل ذلك أن يُعيَّر بالكذب، وهو كافرٌ آنذاك، حيث قال: «لولا الحياء من أنْ يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عنه»، إلىٰ أن سأله هرقل: «فهل يغدر؟»، قال: «قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها»، يقول: «ولم تمكني كلمة أُدخِل فيها شيئًا غير هذه الكلمة».

وفي هذا إقرارٌ منه علىٰ نفسه رضي الله عنه وأرضاه بأنه أدخل كلمةً إذ سنحت له الفرصة لإدخالها وهو يعلم بأن النبي ﷺ بريءٌ من الغدر ومن الخيانة، وأنه لا يغدر ولا يخون.

فيا عجبًا ممن يقول الكلمة وينشرها، وهو يعرف مذهبه فيها، ثم إذا أُخِذَت عليه، وَوُوجِهَ بها، وإذا به يلف ويدور، ويُنكر ما كان يقول ويقرر، ويتملَّص من أقواله وتقريراته بأساليب ماكرة، فيراوغ فيها مراوغة الثعالب، وكأنه لم ينطق بهذه الكلمة، ولم يُرِد هذا المعنىٰ، ثم هو مع هذا كله باقٍ علىٰ ما هو عليه، لا يُقر بتبنيه لهذا الباطل المنسوب إليه، ولا يريد أن يصرِّح به لعلمه بأن قوله باطل؛ إذ لا قائل به من الأئمة والعلماء، ولعلمه بأنه هو نفسه مُبطِلٌ بما يقوله ويقرره مما هو مخالف لهدي الأئمة والعلماء، وقولٌ هذا شأنه يَخشىٰ علىٰ نفسه التصريح به، وهو ما يجعله يلف ويدور ويتحاشىٰ التصريح، فلا تراه يقول: «يجوز»، ولا يقول: «لا يجوز»، وإنما يلعب علىٰ الحبلين - لعله يصطاد بلعبه هذا ضعاف العلم، وضعاف النفوس، ومَن لا شخصية مستقلة لهم - فيقول: «ظلمتموني»، «افتريتم عليَّ»، «نسبتم إليَّ ما لا أعتقد»، «قولتموني ما لم أقل»، وهو في كل هذه العبارات يعلم علم اليقين بأنه كاذب ظالم مفترٍ، والله المستعان!!.

وذلك أن الأمر كله يدور علىٰ أحد أمرين، لا ثالث لهما:

إما أنه «يجوز» تلاوة القرآن وحفظه علىٰ خلاف أثر أبي عبد الرحمن السلمي أو «لا يجوز»، فلماذا اللف والدوران واللعب علىٰ الحبلين، صَرِّحوا بما تعتقدون، ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، قولوها صراحةً: «يجوز»، أو: «لا يجوز»، وبهذا ينتهي الإشكال، وتُدرَأ الفتنة التي أحييتموها وأشعلتموها في هذا الباب، وفي هذه المسألة، وكون الفتنة ستُدرَأ في هذا الباب، وفي هذه المسألة، إذا ما أُلزِمتُم بالتصريح؛ لأنكم لم ولن تَقووا علىٰ التصريح بمذهبكم، وستنطِقون بالجواز لتسلَموا من سهام السلفيين، وها نحن بانتظار تصريحكم بما تعتقدونه في هذه المسألة، أما قولكم:

«**ملاحظة**: أود أن أُبرِز عبارة لا أعلم أحدًا من أهل السنة يقول بها، بل ولا حتىٰ أحدًا من أهل البدع أو الشر الأقذار يقول بها، وهي: «عدم جواز تحفيظ الصغار شيئًا من كتاب الله».

أو مقولة باطلة تقول: «كراهة أن يحفظ الصغار القرآن».

**أقول**: أعوذ بالله!!، من يا إخواني يقول هذه المقولة الباطلة الخبيثة بالله عليكم؟[1].

---

(١) أنتم تقولونها، وتُزهِّدون الشباب في حفظ القرآن، وتَسخرون ممن هو معكم من الحُفاظ، هذا وهم سلفيون، وفيهم من طلبة العلم، ومن خريجي كلية الشريعة!!، فكيف بغيرهم من المنتسبين إلىٰ الأحزاب والجماعات أو من عوام المسلمين؟!، وأنا أقسم علىٰ ذلك بالله العزيز العظيم، ولا أحنث إن شاء الله!!، وآخر هذا الكلام المذكور عنكم سيكشف هذا الأمر ويُجلِّيه، إذ هو كلامٌ ساذجٌ لا يَروج إلا علىٰ الأغبياء والسُّذج من الناس!!، وقد فتنكم من دخل من طلبة العلم لينصركم، ويدافع عنكم؛ فلبَّس ودلَّس، ونفىٰ عنكم هذا الأمر، ورقَّع قولكم، وموقفكم، وذلك بعد أن دار النقاش واحتدَم وقَوِي في قروب واتساب فيه أكثر من مائة شخص، كلهم يرىٰ ويسمع، وكلهم يفهم المعنىٰ المراد، ولكن وللأسف يدافع هذا المدافع وهو يعرف قولكم في المسألة ويعلمه جيدًا، يفعل ذلك دون خوف من الله عَزَّوَجَلَّ، ولا حياء من عباده =

لا أحد طبعًا، بل حتىٰ شياطين الإنس لا يقولون بها والله أعلم.

**وهنا سؤال استنكاري:** هل تعلم أحدًا قال بذلك من أهل البدع المنحرفين؟!.

نصيحتي هنا أن يتحرَّىٰ المسلم السني الإنصاف في تعليقه وفهمه وقوله؛ دون قطع مخل للعبارة أو زيادة محرفة، ولابد لي من مثال توضيحي لمثل هذا المنهج الظالم في قطع الكلام أو التقول - فهو وللأسف فعل مشين -:

هل هناك من يزعم ويتقول أنَّ البعض يقول: «عدم جواز تحفيظ الصغار شيئًا من كتاب الله».

ويقول أيضًا: «كراهة تحفيظ الصغار القرآن»، ويقف ويسكت؛ لاحظ معي يقف ويسكت!!.

العبارة الصحيحة التي يقولها السني ويدور حولها أو حولها يُدَنْدِن هي: «الحث علىٰ تحفيظ القرآن للصغار علىٰ هدي الصحابة الكرام»(١).

لاحظ معي الفرق بين العبارتين أو المعنيين، قول السني وقول المتقول،

---

=

المؤمنين، وأن يعهدوا عليه كذبًا، هكذا تصنع الأهواء والتعصبات المذمومة بأصحابها، فإلىٰ الله المشتكىٰ من سوء ما أنتم عليه من التعاون علىٰ الباطل، وعلىٰ الإثم والعدوان، ومن التناصر عليه!!.

(١) سموا لنا رجالكم أولًا، من هو السني الذي يدور ويُدندِن حول هذه العبارة، هل وُجِد القولُ ووُجِدَت الدندنة عند غيركم؟! وما هو مراد هذا السني - الذي هو أنتم في مفهومكم إذ لا وجود لهذه الدندنة عند غيركم - من هذه الدندنة؟!، فمما لا شك فيه عند أهل العلم جميعًا، السلفي منهم والخلفي؛ أن الجمع بين العلم والحفظ هو أكمل وأتم للمسلم، ولحافظ القرآن، أما الحكم علىٰ من يقرأ القرآن أو يحفظه علىٰ خلاف أثر أبي عبد الرحمن السلمي بمخالفة هدي الصحابة، وبالخروج عن أصولهم وعن جماعتهم، وبالوقوع في الضلال المبين كما سيأتي من أقوالكم، فهذه خصيصة مجموعتكم، وهي - والله وبالله وتالله - التي تستحق أن توصف بالضلال المبين؛ الذي خرجتم به علىٰ أهل الحق والدين، وخالفتم فيه أئمة المسلمين!!.

كمن يقول ولله المثل الأعلىٰ: الله تعالىٰ - جَلَّجَلَالُهُ - يقول: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٤٣]، ثم يقف!! نسأل «الله»[١] السلامة...

**حوار افتراضي**: إن قال قائل: تريد منَّا أن نفهم القرآن كله علىٰ الفهم الصحيح، بعدين نحفظه؟.

**الجواب**: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، وقد قال السلمي عن الصحابة:

«حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا - أي الصحابة - أنهم كانوا يستقرِئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتىٰ يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا».

**فإن قال قائل**: يا أخي مع الحفظ يأتي الإيمان، هذا ما نقوله ونكتبه.

**الجواب**: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، فعن جُنْدُبِ بْن عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله:

«كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ - أي دون البلوغ -، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»»اهـ[٢].

**أقول**: أما قولكم: «ملاحظة: أود أن أُبرِز عبارة لا أعلم أحدًا من أهل السنة

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) قلت: ابحثوا لكم عن ساذج تُمشون عليه انحرافاتكم وضلالاتكم، وتُقنعونه بمذهبكم الفاسد في «باب القرآن: تلاوةً وحفظًا»، فالأمر عاد إلىٰ ما فهمناه عنكم، وهو أن من أصول السنة عندكم في «باب القرآن: تلاوةً وحفظًا»، والتي تستدلون لها بما نطق به الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هي أن لا يُحفَظَ القرآن ولا يُتلَىٰ إلا علىٰ الطريقة التي تدندنون عليها، والمذكورة في أثر أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أما غيرها؛ فهو مخالفٌ لهدي الصحابة عندكم، وخروجٌ عن جماعتهم!!.

يقول بها... إلخ».

فهذا من اللعب علىٰ الحبلين، ومن العبث في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وفي أحكامه الشرعية، وفيه استخفافٌ بعقول المسلمين عامة، وعقول السلفيين خاصة، فهو قولٌ ساذجٌ لا يَروج إلا علىٰ الأغبياء والسُّذج من الناس!!، أما أصحاب العقول السليمة النيِّرة، ومن له أدنىٰ مسكة من علم، فلا!!.

**والمقصود**: أن هذا المُبطِل؛ صاحب هذا القول الباطل، تراه يلف ويدور، ويتلاعب بالألفاظ، ويتحايل، ولكن أن يَنطق بالحق الذي يَزعم أنه لم يَنطِق بخلافه، ولم يقرر خلافه؛ فلا!!، فهل بعد هذا اللعب من لعب؟!!، وبعد هذا الضلال من ضلال؟!!، نعوذ بالله من الهوىٰ ومن الضلال.

**ولكل عاقل أقول**: إن أتيت من الأقوال بما يحتمل ويحتمل، ولم تُبيِّن مرادك منها، فلا تتوجَّه باللوم علىٰ من يستعين بها علىٰ فهم مقصدك، الذي أخفيته، ولم تُظهره.

علمًا بأنه لمن المعلوم بداهةً لكل عاقل، مُتجرد للحق، نابذ للتعصب وأهله؛ أنه لمن المحال أن يكون مقصود من يأتي بمثل هذه الاستدلالات وبمثل هذه الأقوال حثَّ المسلمين علىٰ حفظ القرآن وترغيبهم فيه، وعلىٰ الإكثار من قراءته، وإشغال الأوقات بتلاوته، خاصةً من أراد منهم الحفظ أو القراءة والتلاوة دون فهمٍ لمعانيه، لعجزٍ أو عُجمةٍ أو كسلٍ، أو لأي سببٍ كان.

**ورحم الله العلامة الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، إذ يقول:**

«وعندنا نصوص وأحاديث كثيرة عن النبي ﷺ يتجلَّىٰ فيها اهتمامه ﷺ بإصلاح الألفاظ، كما اهتم بإصلاح الأعمال، من ذلك: قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وهذا مبدأ عام وعظيم جدًّا: «إياك وما يُعتذَر منه»، «إياك وما يُعتذَر منه»، وأوضح من هذا قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**لا تكلَّمَن بكلام تَعتذر به عند الناس**».

هذا هو التأويل، ويزيد الأمر وضوحًا المعالجة الفعلية منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لبعض الأقوال التي صدرت من بعض الأصحاب خطأ، فما نظر النبي ﷺ حينما نظر إلىٰ فساد تلك الأقوال؛ التي ستسمعون بعضها، ما نظر إلىٰ صلاح قلوب قائليها، وإنما توجَّه إلىٰ إصلاح تلك الأقوال؛ لأنه مكلف من رب العالمين أن يُصلح الأعمال والأقوال مع القلوب...»[1].

**ويقول**: «يجب علىٰ المسلمين أنهم قبل أن يَتكلَّموا أن يَزِنوا كلمتهم، فقد ابتدأنا هذا الكلام بقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**لا تكلَّمَن بكلام تَعتذِر به عند الناس**»، ما لازم تحكي كلام بعدين تندم عليه، وتضطر ماذا؟ إلىٰ تأويله، لا، فكِّر ثم قُل، لذلك جاء في بعض الآثار: «عقل المؤمن قبل كلامه، وكلامه وراء عقله، وعقل المنافق بعد الكلام»، يتكلَّم ثم يُفكر، المسلم ليس كذلك؛ يُفكر ثم يتكلَّم»[2].

**ويقول**: «فإذًا: لا ينبغي للمسلم أن يتكلم بالكلمة يَضطر بعدها إلىٰ أن يتأولها، قُلها صريحة وليس بعد القرآن أفصح منه: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، أما تتكلم الكلمة وتقول بعد ذلك: والله أنا أقصد كذا وكذا، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهذا من تأديبه إيَّانا، لو أطعناه لنجحنا: «**لا تَكَلَّمَنَّ بكلام تَعتذِر به عند الناس**». «**لا تَكَلَّمَنَّ**»؛ أي لا تتكلمن: «**بكلام تَعتذِر به عند الناس**»، والرواية الأخرىٰ أقصر من هذا: «إياك وما يُعتذَر منه»»[3].

---

(١) جامع تراث الألباني في العقيدة (٤ / ٩٤).

(٢) جامع تراث الألباني في العقيدة (٤ / ٩٨).

(٣) جامع تراث الألباني في العقيدة (٧ / ٦٢١).

ومادام الأمر كذلك، والتشغيب على هذه المسألة مُستمر، ونشرها بين المسلمين على هذه الصورة مُستمرٌ أيضًا، فلا أكثر من أن نتوجَّه إليكم بأسئلة واضحة وصريحة نحسم بها مادة الخلاف، ونقضي بها على مثل هذه التبريرات المكشوفة المفضوحة، إن أنتم استجبتم وقدمتم جانب الديانة على التعصبات الشخصية.

**والأسئلة التي نود أن نظفر عليها بالإجابة الصريحة الواضحة هي:**

**السؤال الأول:** في أيِّ حكمٍ من الأحكام التكليفية الخمسة تُدخلون قارئ القرآن أو حافظه دون فهمٍ لمعانيه؟.

**السؤال الثاني:** ما هو الموقف الشرعي الصحيح ممن يقرأ القرآن أو يحفظه دون أن يفهم معناه، ودون أن يقف عند كل آية يتعلمها ليتعلم تفسيرها، وهل هو مخالفٌ لهدي الصحابة والسلف عندكم، وخارجٌ عن جماعتهم أم لا؟[١].

**السؤال الثالث:** هل قارئ القرآن أو حافظه دون أن يفهم معناه مأجورٌ عندكم أم مأزور؟.

**السؤال الرابع:** هل قارئ القرآن أو حافظه من الأعاجم، دون أن يفهم معناه؛ مأجورٌ عندكم أم مأزور؟ أم أنه لا مأجورٌ ولا مأزور؟.

وما أجمل ما قاله العلامة أبو بكر الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧١هـ)، إذ ذكر ما يدل على ما فهمناه، وما خرجنا به من أقوالكم ونقولاتكم، وذلك حين ذكر شأن المزهِّدين - اعتبرهم مزهِّدين بأقل مما تصنعون لنصرة قولكم - في الشعر

(١) وقد سبق أن ذكرت أن هذه «المجموعة» تفرق بين هدي الصحابة وهدي السلف، وتحصر لفظة: «السلف» في الصحابة دون من سواهم من الأئمة والعلماء السلفيين!!.

والنحو، قائلًا:

«... فجعلت تُظهر الزهد في كل واحدٍ من النوعين، وتطرح كلاًّ من الصنفين، وترىٰ التشاغل عنهما أولىٰ من الاشتغال بهما، والإعراض عن تدبرهما أصوب من الإقبال علىٰ تعلمهما...

وذاك أنا إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أن كان علىٰ حد من الفصاحة تقصر عنه قوىٰ البشر، ومنتهيًا إلىٰ غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالًا أن يعرف كونه كذلك، إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب، وعنوان الأدب، والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، وتنازعوا فيهما قصب الرهان، ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر علىٰ بعض، كان الصاد عن ذلك صادًّا عن أن تُعرف حجة الله تعالىٰ، وكان مثله مثل من يتصدىٰ للناس فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالىٰ ويقوموا به ويتلوه ويقرأوه، ويصنع في الجملة صنيعًا يؤدي إلىٰ أن يَقِل حفاظه والقائمون به والمقرئون له. ذاك لأنَّا لم نتعبد بتلاوته وحفظه، والقيام بأداء لفظه علىٰ النحو الذي أنزل عليه، وحراسته من أن يُغير ويُبدل، إلا لتكون الحجة به قائمةً علىٰ وجه الدهر، تُعرف في كل زمان، ويُتوصل إليها في كل أوان، ويكون سبيلها سبيل سائر العلوم التي يرويها الخلف عن السلف، ويأثرها الثاني عن الأول.

فمن حال بيننا وبين ما له كان حفظنا إياه، واجتهادنا في أن نؤديه ونرعاه، كان كمن رام أن يُنسيناه جملة ويُذهبه من قلوبنا دفعة، فسواء من منعك الشيء الذي تنتزع منه الشاهد والدليل، ومن منعك السبيل إلىٰ انتزاع تلك الدلالة، والاطلاع علىٰ تلك الشهادة، ولا فرق بين من أعدمك الدواء الذي تستشفي به

من دائك، وتستبقي به حشاشة نفسك، وبين من أعدمك العلم بأن فيه شفاء، وأن لك فيه استبقاء»(١).

**قلت**: تدبروا قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما أجمل ما قال:

«... ذاك لأنَّا لم نتعبَّد بتلاوته وحفظه، والقيام بأداء لفظه علىٰ النحو الذي أُنزل عليه...».

فكون المسلم لم يتعبَّد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ وجه الكمال والتمام لا يُجيز لنا أن نُزهِّده في العبادة ونصرفه عنها، بل يلزمنا معشر السلفيين، ويلزم كل ناصح له أن يُوجِّهه التوجيه الصحيح الذي يُتمم به عبادته ويُكملها، والذي يحصل بها علىٰ الأجر والثواب، وما لا يُدرك كله، لا يُترك جله.

ثم: من كان عنده شيءٌ من الإنصاف؛ فليَعرض كل هذه الأقوال والاستدلالات التي حملناها علىٰ التزهيد علىٰ ما قاله العلامة أبو بكر الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم لينظر هل هذه الأقوال تُحمل علىٰ الترغيب في حفظ القرآن وفي تلاوته، أم علىٰ الترهيب منهما والتزهيد فيهما كما هو فهمنا نحن؟!.

بل من العجائب حقيقةً أن يأتي الإنسان بالشيء وضده، دون قصدٍ، ودون شعورٍ منه؛ ثم لا يكتشف خطأه والخلل الذي هو واقعٌ فيه، كنقلكم عن الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أنه قال:

«من حفظ وقته بذكر الله، وقراءة القرآن، وصحبة الأخيار، والبُعد عن صُحبة الغافلين والأشرار؛ يطيب قلبه ويلين».

وفيه: الحث علىٰ قراءة القرآن دون تقييده بفهم معانيه، وهذا لو تأمَّلتموه

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني (ص: ٨).

لوجدتموه ناقصًا ومناقضًا لِمَا تقررونه وتدعون الناس إليه!!.

**فإن قلتم**: حيثما جاء الحث من العلماء علىٰ قراءة القرآن، فإنما المراد بهذه القراءة قراءة التدبر وفهم المعاني، وليس مُجرَّد القراءة.

**قلت**: صدقتم، ولا يخالف أحدٌ في ذلك، إذ من المعلوم أن العلماء يحثُّون الناس علىٰ ما هو أكمل وأتم لهم في كل شيءٍ، فكيف بما هو خاصٌّ بتعبُّدهم الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنهم أيضًا لا يُزهِّدون المسلمين في نوعٍ من أنواع العبادة، أيًّا كانت هذه العبادة، وأيًّا كان ثوابها، فلأن ينال العبد إحدىٰ الحُسنيين؛ فيحفظ القرآن قاصدًا به وجه الله عَزَّوَجَلَّ، وإن لم يفهم معناه، أفضل له من أن يخسر الاثنين؛ الحفظ والفهم، فلا ينال شيئًا منهما.

ثم إننا نعلم جميعًا بأنه لا قائل من العلماء فمن دونهم بأن القرآن إنما أنزله الله عَزَّوَجَلَّ ليُقرأ ويُحفظ لفظه في الصدور فقط، بل كلهم يقولون كما هو لفظ الحديث الصحيح: «**والقرآن حجةٌ لك أو عليك**».

ومن المعلوم أن القرآن لا يكون حجةً لك إذا قرأته أو حفظته؛ ما لم تتبعه، وتعمل بما فيه، كما أنه لا يكون حجةً عليك إذا قرأته أو حفظته؛ ما لم تُخالفه، وتترك العمل بما فيه.

ثم إنه لابد أن يُعلم أيضًا بأن العمل بالكتاب والسنة لا تلازم بينه وبين قراءة القرآن وحفظه، فسواء حفظته أم لم تحفظه، وقرأته أم لم تقرأه، فأنت مُلزمٌ باتباعه، وبالعمل بما فيه، وبما في السنة، إذ لا يُتعبَّد الله عَزَّوَجَلَّ إلا بما شرع، ولا سبيل إلىٰ ذلك إلا باتباع الكتاب والسنة، وهذا شاملٌ لجميع المسلمين، وليس خاصًّا بالحفَّاظ، ولا القرَّاء، ولا العلماء، ولا الجهَّال، كما هو معلومٌ عند الجميع، ولا أظنه يحتاج إلىٰ بسطٍ وبيان.

بل كما أنه لا خلاف بين العلماء من أن القرآن لم يُنزله الله عَزَّوَجَلَّ ليُقرأ ويُحفظ لفظه في الصدور فقط، دون العمل بما فيه، فكذلك لا خلاف بينهم أيضًا من أن القارئ مأجورٌ علىٰ تلاوته القرآن وإن لم يفهم معناه، إن هو أخلص لله عَزَّوَجَلَّ. وسيأتي بيان ذلك.

وقد بيَّن العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ) هذا المعنىٰ بوضوح، وأنه يجوز للمسلم أن يقرأ القرآن وإن لم يفهم معناه، ثم بيَّن أن فهم المسلم وتدبُّره لِمَا يَقرأ ويَحفظ، هو أكمل له وأتم من الحفظ أو القراءة بلا فهم؛ وقد سئل:

**هل يجوز قراءة القرآن دون فهم معانيه؟ نرجو التوضيح؟.**

**فأجاب:** «نعم، يجوز أن يقرأ المؤمن والمؤمنة القرآن وإن لم يفهم المعنىٰ، لكن يُشرع له التدبر والتعقل حتىٰ يَفهم، ويُراجع كتب التفسير إذا كان له فهم يستطيع به المراجعة، يُراجع كتب التفسير وكتب اللغة العربية حتىٰ يستفيد من ذلك، ويسأل أهل العلم عما أشكل عليه، والمقصود أنه يتدبر؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فالمؤمن يتدبر، يعني: يعتني بالقراءة ويُفكر في معناها، ويتعقل معناها؛ وبهذا يستفيد، وإن لم يَستفِد المعنىٰ كاملًا فقد يستفيد معاني كثيرة، فيقرأ بتدبر وتعقل، والمرأة كذلك؛ حتىٰ يستفيد من كلام ربه، وحتىٰ يعرف مراده، وحتىٰ يعمل بذلك، والله سبحانه يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

فربنا عَزَّوَجَلَّ حثنا وحرضنا علىٰ التعقل والتدبر بكلامه سبحانه، فإذا قرأ المؤمن أو قرأت المؤمنة كتاب الله؛ فمشروعٌ لهما التدبر والتعقل والعناية بما يقرأ؛ حتىٰ يستفيد من كلام الله، وحتىٰ يعقل كلام الله، وحتىٰ يعمل بما عرف من كلام الله، ويستعين في ذلك بكتب التفسير التي أَلَّفها العلماء، مثل: تفسير ابن كثير،

وتفسير ابن جرير، وتفسير البغوي، وتفسير الشوكاني، وغيرها من التفاسير، ويستفيد من كتب اللغة العربية، وهكذا يسأل أهل العلم المعروفين عنده بالعلم والفضل، يسألهم عما قد يشكل عليه[(١)]»[(٢)].

**وقال:** «يُشرَع للمؤمن أن يجتهد في القراءة، ويتحرَّىٰ الصواب، ويقرأ علىٰ من هو أعلم منه حتىٰ يستفيد ويستدرك أخطاءه، وهو مأجورٌ ومثابٌ وله أجره مرتين إذا اجتهد وتحرَّىٰ الحق؛ لقول النبي ﷺ: «**الماهر في القرآن مع السَّفرة**

(١) الله أكبر، يستعين في ذلك بكتب التفسير التي ألفها العلماء مثل تفسير ابن كثير، وتفسير ابن جرير، وتفسير البغوي، وتفسير الشوكاني، وغيرها من التفاسير، ويستفيد من كتب اللغة العربية، وهكذا يسأل أهل العلم المعروفين عنده بالعلم والفضل، يسألهم عما قد يشكل عليه، فليس الأمرُ محصورًا في الصحابة ﷺ، كما يزعم أهل الضلال من أدعياء الوضوح، فأهل العلم من أهل السنة والجماعة؛ لهم شأنهم ولهم اعتبارهم عند علماء السنة، وهم من يُرجَع إليهم في المشكلات، وفي المعضلات، وفي فهم الكتاب والسنة، وهم من سلك سبيل النبي ﷺ، وأصحابه ﷺ، وإن رغمت أنوف «مجموعة النهج - غير - الواضح»، وما أكثر دندنتها علىٰ ما فيه ازدراء وانتقاص لأهل العلم والسنة، وهذا ما سيظهر لكل من أراد أن يقف علىٰ ما عندهم من انحراف ومن زيغ وضلال في هذا الباب، ودون عناء ولا تعب، ومن أمثلته قول قائلهم: «وجوب طاعة العلماء ترنيمة يعزف عليها بعض مبطني دعوة التقليد، ما وجه الوجوب هذا للعالم غير المُوَلىٰ من الحاكم دون سائر الخلق؟ ألأنه أمر بالمعروف؟ فهذه ليست خصيصة له، بل هي لسائر الخلق، أم لوجوب أخذ فتواه؟ فهذه دعوة غلاة المقلدة، ولم يلزم ﷺ المستفتي بها، «**استفت قلبك وإن أفتاك المفتون**» ».

ورحم الله الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ)؛ إذ يقول في وصف علماء السنة:

«فُقَهَاءُ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ دَارَتْ الْفُتْيَا عَلَىٰ أَقْوَالِهِمْ بَيْنَ الْأَنَامِ، الَّذِينَ خُصُّوا بِاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ، وَعَنَوْا بِضَبْطِ قَوَاعِدِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ فَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، بِهِمْ يَهْتَدِي الْحَيْرَانُ فِي الظَّلْمَاءِ، وَحَاجَةُ النَّاسِ إلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَطَاعَتُهُمْ أَفْرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ بِنَصِّ الْكِتَابِ، قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] ...» (إعلام الموقعين ٢ / ١٤).

وهذا أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة، لا يُخالفه ويَخرُج عنه إلا منحرفٌ ضال!!.

(٢) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (١ / ٣٣٢).

**الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجره مرتين**»»[١].

**وقال:** «المقصود أنه أُنزِل للعمل به، وتدبُّرِه، والتعبُّد بتلاوته، والإكثار من قراءته»[٢].

ففرَّق رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين التعبُّد بتلاوته، وبين تدبُّره والعمل بما فيه، إذ كله مطلوبٌ ومأجورٌ صاحبه.

وكان ممَّا بيَّنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن من الأمور التي أُنزِل لأجلها القرآن: التعبُّد بتلاوته، وهذا أمرٌ مفروغٌ منه، ومن أراد الاستزادة في هذا الباب، وأراد أن يعرف الفرق بين ما يُقرره العلماء، وبين ما يقرره أصحاب القول الجديد المُحدَث؛ فليقرأ كتاب: «فتاوىٰ نور علىٰ الدرب للإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ» (١ / ٣٤٢ – ٣٤٣).

**وحول هذه المسألة قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٤٢١هـ):**

«كنا نقدم في هذا اللقاء تفسيرًا لكتاب الله العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، والذي يجب علىٰ كل مسلم أن يتعلم من معانيه ما يحتاج إليه في أمور دينه ودنياه؛ لأن الله إنما نزَّل القرآن للتلاوة والتدبر والاتعاظ، يعني: ليس المقصود من إنزال القرآن أن نتعبَّد لله بتلاوته فحَسْب، بل أن نتعبَّد بتلاوته، ومعرفة معانيه، والعمل به...»[٣].

فبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن القرآن أُنزِل لأمورٍ ثلاثة؛ وذَكَر منها: التعبُّد بتلاوته.

**وسئل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طالب العلم هل يبدأ بحفظ القرآن الكريم أم بقراءة كتب العلم؟.

**فأجاب:** «يبدأ بحفظ القرآن؛ حفظ القرآن لا شيء قبله مما يحفظه الإنسان؛

---

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة (٢٤ / ٣٦٢).

(٢) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة (١٣ / ٢٦٢).

(٣) بصوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ من «لقاء الباب المفتوح»، اللقاء رقم: (٨٠).

لأن القرآن كلام الله، وتلاوته عبادة، وتدبُّره عبادة، والعمل بما يدل عليه عبادة، وتصديق خبره عبادة، فهو أفضل الكتب المنزلة من الله عَزَّوَجَلَّ، وأفضل من الكتب المؤلَّفة من الناس، ولا سواء، فليبدأ الإنسان بحفظ القرآن الكريم، ثم بما صحَّ من سنة الرسول ﷺ؛ كعمدة الأحكام للحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه كتابٌ مختصرٌ جدًّا في الأحكام، ثم بما تيسر له من كتب أهل العلم في العقيدة وغيرها»[١].

وسئل أيضًا عن حفظ القرآن بدون تجويد أو فهمٍ لمعانيه، هل فيه شيء؟.

**فأجاب:** «الطريق إلىٰ ذلك أن يحفظ الإنسان خمسة آياتٍ حتىٰ يُتقِنَها، ثم خمس آياتٍ حتىٰ يُتقِنَها، ثم خمس آياتٍ حتىٰ يُتقِنَها، فإذا أتمَّ جزءًا كاملًا عاد فتعاهد ما حفظه حتىٰ يعلم أنه لم يَنسَه، ثم يأخذ في الجزء الثاني كما أخذ في الجزء الأول حتىٰ ينتهي من القرآن، ولا يُشترَط أن يكون بالتجويد، ولا أن يَعرف معناه، التجويد ما هو إلا تحسينٌ للفظ وليس بواجبٍ، والمعنىٰ يُمكنه بعد أن يُكمل الحفظ أن يقرأ من التفاسير المأمونة الموثوقة ما ينتفع به»[٢].

هذا ما عليه علماؤنا، علماء السنة، وما أكثر أقوالهم في هذا الباب.

ولست أدري حقيقةً ما الذي تعنونه وتريدونه من نشركم لكلام الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟!!.

فهل مِن فرقٍ عندكم بين قراءة القرآن من المصحف، دون فهمٍ لمعانيه؛ إذ يكون صاحبه مأجورًا عندكم؛ إذ شغل وقته بما يطيب به قلبه ويلين، وبين أن

---

(١) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٢/ ٢٥).

(٢) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٢/ ٤٣).

يقرأه من صدره ومن حفظه فيكون مأزورًا عندكم؛ إذ خالف الصحابة في حفظه له، دون فهمٍ لمعانيه، وخرج عن هديهم وعن جماعتهم، مما حال بينه وبين أن يطيب قلبه به ويلين؟!!.

أم أن الأمر عندكم سيان، وأن قارئ القرآن؛ سواء قرأه من المصحف، أم قرأه من صدره، فإنه لا يطيب قلبه ولا يلين؛ إلا مع تدبُّره وفهم معانيه؟!.

﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

ولَمَّا كان مقصود هذه الرسالة هو بيان الحق في هذه المسألة، القائل أهلها بإخراج حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة، والذي يستلزم أيضًا إخراج قارئ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة[1]، خاصة وقد كثر التشغيب بها، ونُشرت بين المسلمين في وسائل التواصل، وبطريقةٍ مُلتبسة، فيها تلبيس ولعب وتدليس، قد لا تَظهر لكل أحد، إذ يذكرونها وكأنها من المسائل المفروغ منها، والمسلَّم بها عند العلماء، مُستدلِّين علىٰ إثباتها بأقوال للعلماء؛ استقلوا هم بفهمها دونهم، وحملوها علىٰ مرادهم هم، وعلىٰ ما أحدثوه من مذهب جديد، لم يسبقهم إليه أحدٌ من العلماء، لا علىٰ مراد العلماء، مع أنه من

(١) وقد سبق أن ذكرت أن هذه «المجموعة» تُكثِر الدندنة علىٰ لفظة: «الصحابة» وعلىٰ «هدي الصحابة»، لأنها تُفرق بين الصحابة وبين من جاء بعدهم من الأئمة والعلماء السلفيين، فالسلف عندهم هم الصحابة وحدهم، فلذلك تجدهم يَذكرون الصحابة ويُدندنون علىٰ لفظة: «الصحابة»، ولا يَذكرون لفظة: «السلف»، وذلك لكي لا يَدخل أئمة أهل السنة وعلماء الحق مع الصحابة، وذلك لعلمهم بأن هذا المصطلح - مصطلح حصر السلف بالصحابة - هو مصطلحٌ خاصٌّ فيهم، أما غيرهم من السلفيين فمتىٰ ما سمعوا لفظة: «السلف»؛ فستنصرف أنظارهم إلىٰ أئمة أهل السنة، وإلىٰ علماء الحق علىٰ مر العصور والأزمان، ومتىٰ ما وقع هذا الأمر؛ بطلت قواعدهم وتقريراتهم التي يريدون تمشيتها من خلال قاعدتهم الفاسدة: «ائتني بصحابي واحد»!!.

الواضح جدًّا لكل من تتبَّع أقوال هؤلاء العلماء الذين استدلت هذه «المجموعة» بهم لنصرة مذهبهم؛ فإنه سيجد أنهم لم يريدوا المعنىٰ الذي خرج به أصحاب هذا القول المُحدَث، لا من قريب ولا من بعيد.

**وقبل إيراد هذه الأقوال ومناقشتها، أذكر أمورًا:**

* **الأمر الأول:** هو في بيان أن من تتبَّع أثر أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولفظه: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل».

**أقول:** من تتبَّع هذا الأثر؛ الذي جعلته هذه «المجموعة» أصلًا لها؛ تُقرر به هذه المسألة، وتنصر به هذا القول المُحدَث، الذي خرجت به علينا؛ لوجد العلماء إنما يستدلون به علىٰ أمورٍ؛ منها:

**أولًا:** إثبات أن النبي ﷺ بيَّن لأصحابه كل معاني القرآن الكريم، كما بيَّن لهم ألفاظه، وأنه لم يترك فيه جزءًا يحتاج إلىٰ بيانٍ إلا بيَّنه وفسَّره لهم.

**ثانيًا:** إثبات أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تلقَّوا هذا الدين غضًّا طريًّا من فيِّ النبي ﷺ، ونقلوه إلينا كما بلغهم.

**ثالثًا:** إبطال دعوىٰ إدخال الصفات في المتشابه الذي لا يَعلم تأويله إلا الله، وذلك بإثبات أن السلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلَّموا في جميع نصوص القرآن؛ آيات الصفات وغيرها، وفسَّروها بما يُوافق دلالتها وبيانها، وأن الصحابة هم أعظم من غيرهم في هذه الأبواب، إذ أخذوا التفسير عن النبي ﷺ.

**رابعًا:** ترغيب الناس وحثهم علىٰ تدبر القرآن وفهمه، وعلىٰ العمل بما فيه، وألا يَكتفوا منه بمجرد القراءة.

إلىٰ غير ذلك من المعاني التي تُعين العبد علىٰ العبادة والطاعة، وعلىٰ فهم الدين فهمًا صحيحًا.

ولا وجود لمن يصرف الناس عن حفظ القرآن، أو عن تلاوته، بمثل هذه الآثار، كما هو صنيع هذه «المجموعة»؛ أصحاب هذا القول الجديد المُحدَث!!.

وقد مر معنا ما لقارئ القرآن، وما لحافظه عن ظهر قلب، من الفضل والثواب عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وإن قصَّر في فهم معناه، وسيأتي زيادة بيانٍ عند ذكر الأمر الثاني بإذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

**ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، إذ يقول:**

«أما نفس معرفة القراءة وحفظها فسُنَّة متبعة، يأخذها الآخر عن الأول، فمعرفة القراءة التي كان النبي ﷺ يقرأ بها، أو يُقرُّهم علىٰ القراءة بها، أو يأذن لهم وقد أقروا بها سنَّة، والعارف في القراءات، الحافظ لها؛ له مزِيَّة علىٰ من لم يَعرف ذلك، ولا يَعرف إلا قراءة واحدة»[١].

ويقول: «والناس إنما يغلطون في هذه المسائل؛ لأنهم يفهمون مسميات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، ولا يعرفون حقائق الأمور الموجودة، فرُبَّ رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن، ولا يكون له من الفهم؛ بل ولا من الإيمان ما يتميَّز به علىٰ من أوتي القرآن ولم يُؤتَ حفظ حروف العلم، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣ / ٤٠٤).

**كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»**.

فقد يكون الرجل حافظًا لحروف القرآن وسُوَرِه، ولا يكون مؤمنًا، بل يكون منافقًا. فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسُوَرَه خيرٌ منه، وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان، وأما الذي أوتي العلم والإيمان فهو مؤمن عليم، فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان؛ فهذا أصل تجب معرفته»(١).

**والمقصود**: أن المراد من مثل هذه الآثار بيان كمال الدين، وأنه محفوظٌ بحفظ الله عَزَّوَجَلَّ له، وأن الله عَزَّوَجَلَّ قد هيَّأ له رجالًا يحفظونه في صدورهم، ويتعبَّدون الله به كما أمرهم، وينقلونه لمن بعدهم كما بلغهم، ولا يكون هذا إلا بالعلم والعمل، لا بحفظ الحروف والألفاظ فقط.

وبها يعرف المسلم للصحابة قدرهم، وأنهم قد نقلوا لنا الدين كاملًا كما تلقَّوه من النبي ﷺ، وأنهم لم يُقصِّروا في شيءٍ من ذلك، هذا أولًا.

**أما ثانيًا**: فَأَنْ يعرف المسلم للعبادة قدرها، فيحرص علىٰ أن يُؤديها علىٰ أكمل وَجه، مخلصًا فيها لله عَزَّوَجَلَّ، ومُتَّبعًا فيها لسنة نبيه ﷺ، كما هو صنيع الصحابة والتابعين، والأئمة من بعدهم، الذين يتعلمون العلم للعمل، ولنيل الأجر والثواب من الله عَزَّوَجَلَّ، لا للتفاخر والتصدر والتزعم والركوب علىٰ ظهور الناس، ولا لغيره من أمور الدنيا.

ومن سلك هذا السبيل صلح حاله، وحسن اتباعه، ونال من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١ / ٣٩٧).

الأجر والثواب علىٰ هذه العبادة التي تعبَّد فيها وأخلص فيها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا يعني: أن من حفظ القرآن أو تلاه علىٰ هذا الوجه؛ الذي اجتمع فيه الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، والمتابعة لنبيه ﷺ؛ نال ثواب حفظه وثواب تلاوته لألفاظ القرآن وترديده لها، بكل حرفٍ حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وإن أضاف الفهم والتدبر إلىٰ هذا الحفظ، وهذه التلاوة، زاد أجره وثوابه، بقدر ما زاد من العمل، وهكذا، و ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وهيهات هيهات أن تجد في العلماء من يُزهد الناس بحفظ القرآن أو يُقلل لهم من شأن حفظ ألفاظه عن ظهر قلب بمثل هذه الآثار؛ بحجة أنهم قد حفظوا ألفاظه ولم يعرفوا معناه!!.

* **الأمر الثاني**: هو في بيان أن القرآن مما يُتعبَّد بتلاوته، وإن لم يُفهم معناه، وهذا أمرٌ مُسلَّمٌ به، ولا يُخالف فيه أحدٌ من العلماء الربانيين، ومنهم من ذكره أصحاب القول الجديد المُحدَث، واستدلوا به لقولهم، كما سيأتي، وهو منهم ومن مذهبهم براء.

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٤٢١هـ)**: «ومن المعلوم أن بين القرآن والحديث القدسي فروقًا كثيرة:

**منها**: أن الحديث القدسي لا يُتعبَّد بتلاوته، بمعنىٰ أن الإنسان لا يَتعبَّد لله تعالىٰ بمجرَّد قراءته، فلا يُثاب علىٰ كل حرف منه عشر حسنات، والقرآن يُتعبَّد بتلاوته؛ بكل حرف منه عشر حسنات»(١).

**وقال العلامة محمد أمان الجامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٤١٦هـ)**: «الفرق بين القرآن

(١) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (١ / ٨١).

والسنة واضحٌ كما يظهر مما ذكرنا آنفًا من حيثية واحدة؛ وهي أن القرآن كلام الله لفظه ومعناه، مُتعبَّدٌ بتلاوته، ولا تصح الصلاة إلا به، وهو من المعجزات الخالدة لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد أعجز بُلغاء العرب وأقعدهم.

وأما السنة فهي من عند الله من حيث المعنىٰ؛ وأما ألفاظها فمن عند رسول الله ﷺ، ولا يُتعبَّد بتلاوتها، ولا تصح الصلاة بها، وليست بمعجزة، ويجوز روايتها بالمعنىٰ بشروطها...»[1].

**وقال:** «فلنُعِد ذِكرَ الفوارق لئلا يلتبس الأمر علىٰ من لم يَحضِر سابقًا، الفوارق: أن الأحاديث القدسية لا يُتعبَّد بها، بخلاف القرآن، القرآن مُتعبَّدٌ بتلاوته، من قرأ القرآن ولو كان لا يَفهم المعنىٰ، لو قرأ أعجميٌّ لا يَفهم معاني ما يقرأ؛ له بكل حرف حسنة، ولكن: الأحاديث القدسية لا يُتعبَّد بتلاوتها...»[2].

**وقال:** «بقيَ أن يَعرف طالب العلم الفرق بين الحديث القدسي وبين القرآن، تكلَّمنا غيرَ مرَّة علىٰ هذه المسألة، لا بأس من تكرارها والمكرَّر أحلىٰ، ذلك: أن الحديث القدسي والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وجميع الكتب المنزَّلة؛ كلها من كلام الله، الحديث القدسي من كلام الله، ولكنَّ الفرق بين الأحاديث القدسية وبين القرآن الكريم:

أن القرآن متعبَّدٌ بتلاوته؛ بكلِّ حرفٍ عشْرُ حسنات، «لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، بل ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ»، ولكنَّ الأحاديث القدسية لا يُتعبَّد بتلاوتها، لو تَلَوتَها كما تتلوا القرآن لا تُثاب علىٰ تلاوتها، إنما الواجب العمل بها

(١) الصفات الإلهية (ص: ٢٠).

(٢) بصوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ من «شرح الرسالة التدمرية»، الشريط رقم: (١٨).

كالأحاديث النبوية...»[١].

وهذا المعنىٰ قد نصَّ عليه الأئمة قديمًا وحديثًا، وكان فيما ذكروه: أن قراءة القرآن أفضل من الذكر، وأنها أفضل أعمال اللسان.

وهذه المسألة هي مسألةٌ واضحةٌ وضوح الشمس في رائعة النهار، كما يقال، ولكن: الله المستعان!!.

بل هي مسألةٌ لو أراد الواحد منا أن يجمع فيها أقوال العلماء الدالة علىٰ فضلها، وفضل التعبُّد بها؛ لخرج بمجلدٍ ضخمٍ أو أكثر، ولكن اللبيب تكفيه الإشارة.

بل لا أظن بأن أحدًا ممن تبنَّىٰ القول بإخراج حافظ القرآن أو قارئه دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة يُخالف في أن القرآن مما يُتعبَّد بتلاوة ألفاظه، وأن لقارئه بكل حرف حسنة، وأن الحسنة بعشر أمثالها، ولكنها الغفلة؛ أولًا، والعناد؛ الذي يجعل المُخطئ يتمسك بخطئه، ويُصر عليه، وإن قدَّمت له ألف دليل؛ ثانيًا، والله المستعان.

وإذ لم يكن فيهم من يخالف في هذا الأمر، فمن باب أولىٰ أنْ لا يكون فيمن استدلوا به من العلماء من يخالف فيه.

* **الأمر الثالث:** هو في بيان أن أخذ مذاهب العلماء من الإطلاقات من غير مراجعةٍ لِمَا فسَّروا به كلامهم وما تقتضيه أصولهم يجر إلىٰ مذاهب قبيحة.

وهذا أصلٌ عظيمٌ وقاعدةٌ مفيدةٌ نافعةٌ، تُعين صاحبها علىٰ معرفة الطرق الصحيحة للاستفادة من كلام العلماء، ومعرفة مذاهبهم، وألا يفرح الباحث في

(١) بصوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ من صوتية له منشورة علىٰ شبكة الإنترنت تحت عنوان: «الفرق بين الحديث القدسي والقرآن».

المسائل - إن كان صادقًا في بحثه وأنه يُريد به الوصول للحق ومعرفة القول الصحيح في المسألة التي يبحثها - إذا ما ظفر بقولٍ لأحدٍ من العلماء يخدم مذهبه؛ إلا بعد أن يتحرَّىٰ وينظر في أقوال هذا العالم، وفي مذهبه في هذه المسألة التي تبنَّاها هو، خاصةً إذا كانت المسألة فيها من الأحاديث ومن الآثار، بل ومن الأقوال ما يُعكِّر علىٰ الباحث هذا الفهم الذي فهمه عن هذا العالم.

ونفعُ هذه القاعدة يُدركه كل من تدبَّر ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقريرها؛ فقد بيَّنها ووضَّحها بأحسن توضيح، وأجمل بيان.

وهذه القاعدة من فهمها فهمًا صحيحًا؛ بعيدًا عن التعصب والهوىٰ، وجدها قاضيةً علىٰ كل ما استدل به أصحاب القول الجديد المُحدَث - الذي أخرجوا به حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي السلف - لتقوية مذهبهم من استدلالات، وناسفةً لكل ما استدلوا به لتقوية هذا المذهب الجديد، سواء ما استدلوا به من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠٦هـ)، أو من كلام الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣٣هـ)، أو غيرهما، لا لخللٍ في هذه الأقوال، ولا لفسادٍ فيها، وإنما لتحميل المستدلِّين بها كلام العلماء ما لا يحتمل من جهة، ولأن العلماء قد قرروا خلاف ما فهمه عنهم المستدلون بكلامهم، وخلاف ما نسبوه إليهم من جهةٍ أخرىٰ.

وفي تقرير هذا الأصل العظيم وهذه القاعدة المفيدة؛ ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول» الحكم الشرعيَّ فيمن سبَّ رسول الله ﷺ، مسلمًا كان السابُّ أو كافرًا، وأنه يجب قتله، ثم بيَّن ما معناه: أن العالم إذا قرر أمرًا خالف به العلماء، أو ما هو مشهورٌ بينهم من

الأحكام، ثم في موضعٍ آخر قرر ما يُظهر موافقته لهم، واتفاقه معهم علىٰ هذه الأحكام، فإما أنْ لا يُحكَىٰ في هذه المسألة خلافٌ، أو يُحكىٰ فيها وجهٌ ضعيف؛ لأن الذين قالوا بها في موضعٍ نصُّوا علىٰ خلافها في موضعٍ آخر.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**: «وذكر طوائف منهم أن الإمام مُخيَّرٌ فيمن نقض العهد من أهل الذمة، كما يُخيَّر في الأسير بين الاسترقاق والقتل والمنِّ والفداء، ويجب عليه فعل الأصلح للأمة من هذه الأربعة بعد أن ذكروه في الناقِضين للعهد، فدخل هذا السابُّ في عموم هذا الكلام وإطلاقه؛ وإلا وجب أن يُقال فيه بالتخيير إذا قيل به في غيره من ناقضي العهد، لكن قيَّد مُحققو أصحاب هذه الطريقة ورؤوسهم - مثل القاضي أبي يَعلىٰ في كتبه المتأخرة وغيره - هذا الكلام، وقالوا: التخيير في غير سابِّ الرسول، وأما سابُّه فإنه يتعيَّن قتلُه، وإن كان غيره مُخيَّرًا فيه كالأسير، وعلىٰ هذا فإما أن لا يُحكَىٰ في تعيين قتله خلاف؛ لكون الذين أطلقوا التخيير في موضعٍ قد قالوا في موضعٍ آخر بأن السابَّ يتعيَّن قتله، وصرَّح رأس أصحاب هذه الطريقة بأنه مُستثنًىٰ من ذلك الإطلاق، أو يُحكَىٰ فيه وجهٌ ضعيف؛ لأن الذين قالوا به في موضعٍ نصُّوا علىٰ خلافه في موضعٍ آخر...

**إلىٰ أن قال:**

إذا تلخصت هذه القاعدة فيمن نقض العهد علىٰ العموم...، وبالجملة فالقول بأن الإمام يُخيَّر في هذا إنما يدل عليه كلام بعض الفقهاء أو إطلاقه، وكذلك القول بأنه يلحق بمأمنه، وأخذ مذاهب الفقهاء من الإطلاقات من غير مراجعة لما فسَّروا به كلامهم وما تقتضيه أصولهم يجر إلىٰ مذاهب قبيحة، فإن

تقرر في هذا خلاف فهو ضعيف، نقلًا لما قدمناه وتوجيهًا لما سنذكره»[١].

ومن تتبَّع استدلالات القائلين بإخراج حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة؛ لوجدها لا تخرج عن هذه القاعدة، إن لم تكن قد تعدَّتها، وذلك أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد ذكر فيها أمرين اثنين:

**الأمر الأول**: أن طائفةً من العلماء قد نصُّوا صراحةً علىٰ أن الإمام مُخيّرٌ فيمن نقض العهد من أهل الذمة، كما يُخيَّر في الأسير بين الاسترقاق والقتل والمنِّ والفداء، ثم جاءوا بعد ذلك بما ينقض هذا التخيير، فقالوا: التخيير في غير سابِّ الرسول، وأما سابُّه فإنه يتعيَّن قتله.

فعاد الأمر إلىٰ أن السابَّ يُقتل، إلا أن بعض الفقهاء تمسَّكوا بالقول الأول؛ الذي خرجوا به أولًا، وهو أن الإمام مُخيَّرٌ بين الاسترقاق والقتل والمنِّ والفداء، فذهبوا ينقلون ما فهموه من وجود الخلاف في المسألة، ولم يَفطنوا لما انتهىٰ إليه الأمر، مما يُعكِّر عليهم هذا الفهم؛ إذْ مَن أخذوا عنهم الخلاف قد جعلوا التخيير في غير سابِّ الرسول، وأما سابُّه فإنه يتعيَّن قتله عندهم، وبه ينتفي الخلاف، ويعود الأمر لِمَا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عدم الخلاف.

والأمر في مسألة إخراج حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة مختلِفٌ تمامًا عمَّا هو مقررٌ في هذا الأمر، وفي هذه القاعدة، وذلك أن القائلين بهذا القول أقاموا حكمهم علىٰ إطلاقاتٍ لا تحتمل المعنىٰ الذي فهموه وخرجوا به لنصرة قولهم الجديد المُحدَث، وليس معهم فيما خرجوا به وقرروه قولٌ واضحٌ وصريحٌ في التنصيص علىٰ بدعيَّة حفظ القرآن أو تلاوته دون فهمٍ لمعانيه، إذ لم

(١) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول (ص: ٢٥٤ - ٢٧٩).

يظفروا بشيءٍ واضحٍ يخدمهم في تقرير ما يُريدون، كما ظفر مَن ذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية - في قاعدته - من الفقهاء علىٰ تقرير مسألتهم، وهذا ما سيظهر جليًّا عند ذكر ما استدل به أصحاب هذا القول لتقرير مسألتهم من أقوال، ومناقشتها.

**الأمر الثاني**: أن أخذ مذاهب الفقهاء من الإطلاقات من غير مراجعةٍ لِمَا فسَّروا به كلامهم وما تقتضيه أصولهم يجر إلىٰ مذاهب قبيحة، وهذا عين ما وقع فيه المستدلون بأقوال العلماء علىٰ تقرير قولهم الجديد المُحدَث في حفظ القرآن، وفي تلاوته، كما سيأتي عند ذكر هذه الأقوال، ومناقشتها.

وما ذكرته كافٍ لإبطال كل ما يستدلون به علىٰ تقرير هذه المسألة، وهذه البدعة الجديدة، ولولا أنهم نشروا أقوالًا شوَّشوا بها علىٰ بعض الناس، لاكتفيت بما سبق ذكره، ولكن إتمامًا للفائدة سأذكر بعض هذه الأقوال وهذه الاستدلالات التي استدلوا بها، وأبيِّن ما في فهمهم لها من الخلل والانحراف.

*** ذكر بعض هذه الاستدلالات، ومناقشتها:**

فمن استدلالاتهم التي نصروا بها مذهبهم الجديد المُحدَث:

**- الاستدلال الأول:**

استدلالهم بقول أبي عبد الله القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧١هـ)، صاحب التفسير.

فقد ذكروا عنه قوله: «فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أقبح أن يُسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه، فما مثل من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفارًا».

**والجواب علىٰ هذا الاستدلال من وجوه:**

**الوجه الأول**: أن هذا القول لا ذمَّ فيه لحافظ القرآن وحامله عن ظهر قلبٍ، بوجهٍ من الوجوه، وإنما الذم موجَّهٌ إلىٰ من لا ينتفع بما حفظه من ألفاظ القرآن إذا

ما احتاج إليها في تعبُّده الله عَزَّوَجَلَّ، إذ لا يصح التعبُّد لله عَزَّوَجَلَّ إلا بما شرع، وهذا أمرٌ ظاهر لكل من يفهم الخطاب، إذ ليس من الواجب علىٰ كل أحد أن يعلم جميع معاني القرآن ولو حفظه كاملًا، وإنما يَلزمه أن يتعلم ما يحتاج إليه في تعبُّده الله عَزَّوَجَلَّ، لكيْ لا يقع في المحظور، سواء حفظ القرآن عن ظهر قلبٍ أو لم يحفظه.

وهذا أمرٌ يعلمه كل طالب علمٍ فضلًا عن العلماء، وأكتفي بنقلٍ واحدٍ عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُبيِّن فيه هذا المعنىٰ، حيث قال:

«وأما العلم بالكتاب والحكمة فهو فرضٌ علىٰ الكفاية؛ لا يجب علىٰ كل أحد بعينه أن يكون عالمًا بالكتاب: لفظه ومعناه، عالمًا بالحكمة جميعها؛ بل المؤمنون كلهم مخاطبون بذلك وهو واجبٌ عليهم، كما هم مخاطبون بالجهاد، بل وجوب ذلك أسبق وأوكد من وجوب الجهاد؛ فإنه أصل الجهاد، ولولاه لم يعرفوا علام يقاتلون، ولهذا كان قيام الرسول والمؤمنين بذلك قبل قيامهم بالجهاد، فالجهاد سنام الدين، وفرعه وتمامه، وهذا أصله وأساسه وعموده ورأسه، ومقصود الرسالة فعل الواجبات والمستحبات جميعًا، ولا ريب أن استماع كتاب الله والإيمان به، وتحريم حرامه وتحليل حلاله، والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه واجبٌ علىٰ كل أحد، وهذا هو التلاوة المذكورة في: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ [البقرة: ١٢١]، فأخبر عن الذين يتلونه حق تلاوته أنهم يؤمنون به، وبه قال سلف الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم، وقوله: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾؛ كقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ [الحج: ٧٨] و ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وأما حفظ جميع القرآن وفهم جميع معانيه ومعرفة جميع السنة؛ فلا يجب علىٰ كل أحد؛ لكن يجب علىٰ العبد أن يحفظ من القرآن ويعلم معانيه ويعرف

من السنة ما يحتاج إليه»[١].

**الوجه الثاني**: أن مثل هذا النقل عن القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يَفرح به إلا جاهلٌ أو صاحب هوىٰ؛ إذ يظنه دليلًا له، وهو في الحقيقة دليلٌ علىٰ جهله، أو هواه، إذ فرح به وكأنه قد ظفر بكنزٍ ثمينٍ؛ ينتصر به لنفسه، وينصر به قوله الباطل الذي تبنَّاه، دون أن ينظر إلىٰ ما سيتبعه من تعطيله لعبادةٍ عظيمةٍ قد دلَّ عليها الكتاب والسنة، وأجمعت عليها الأمة، إذ لا فرق بين أن يُمنع المسلم من حفظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، وبين أن يُمنع من تلاوته دون فهمٍ لمعانيه، إذ من المُحال أن يكون الأول بدعةً، ويكون الثاني سنةً، بل ودون أن ينظر أيضًا إلىٰ هذا القول الباطل الذي تبنَّاه، وإلىٰ هذا المنع من حفظ القرآن؛ إن لم يجمع هذا الحافظ بين الحفظ والفهم، مَن سبقه إليه؟!!. ومَن سبقه أيضًا بأن جعل هذا الحفظ للقرآن من جملة البدع؟!!.

وحول إثبات دلالة الكتاب والسنة والإجماع علىٰ فضل تلاوة القرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ):

«قول أحمد بن حنبل: إذا جاء الحلال والحرام شدَّدنا في الأسانيد؛ وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد؛ وكذلك ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال: ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذي لا يُحتج به؛ فإن الاستحباب حكمٌ شرعيٌّ؛ فلا يثبت إلا بدليلٍ شرعيٍّ، ومن أخبر عن الله أنه يُحب عملًا من الأعمال من غير دليلٍ شرعيٍّ فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم؛ ولهذا يختلف العلماء

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٥ / ٣٩٠).

في الاستحباب كما يختلفون في غيره، بل هو أصل الدين المشروع.

وإنما مرادهم بذلك: أن يكون العمل مما قد ثبت أنه مما يُحبه الله أو مما يكرهه الله بنصٍّ أو إجماع، كتلاوة القرآن؛ والتسبيح، والدعاء؛ والصدقة، والعتق؛ والإحسان إلىٰ الناس؛ وكراهة الكذب والخيانة؛ ونحو ذلك»(١).

ثم لا أدري حقيقةً ما الفائدة من مثل هذا النقل عن العلامة القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قال بقوله السابقون واللاحقون من العلماء، حثًّا منهم المسلمين علىٰ فهم القرآن وتدبُّر آياته؛ إذا ما قرأوه أو حفظوه عن ظهر قلب، وعلىٰ العمل بما فيه، لا منعًا لهم من التلاوة أو الحفظ!!.

وأكتفي بنقلٍ واحدٍ يُؤيد ما ذكره القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧١هـ).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١هـ) عند تفسير قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]؛ قال:

«فقاس من حَمَّلَه سبحانه كتابه ليؤمن به، ويتدبَّره، ويعمل به، ويدعو إليه، ثم خالف ذلك، ولم يَحمِله إلا علىٰ ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر، ولا تفهم، ولا اتباع له، ولا تحكيم له وعمل بموجبه، كحمار علىٰ ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها: حملها علىٰ ظهره ليس إلا؛ فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي علىٰ ظهره؛ فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود؛ فهو متناول من حيث المعنىٰ لمن حَمَل القرآن فترك العمل به، ولم يُؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٨ / ٦٥).

(٢) إعلام الموقعين (٢ / ٢٨٨).

ذكر ابن القيم مثل هذا الكلام الموافق للقرطبي وغيره من العلماء، مع قوله بثبوت الأجر والثواب على التلاوة وإن كانت دون فهمٍ للمعاني؛ فقال في النونية:

**هب أنه لم يقصد الموضوع لكن قد يكون القصد معنى ثان**
**غير الذي عنيتموه وقد يكون اللفظ مقصودًا بدون معان**
**كتعبد وتلاوة ويكون ذاك القصد أنفع وهو ذو إمكان**

بل ومع قوله أيضًا بجواز المسابقة على حفظ القرآن دون أن يُقيد هذا التجويز بالفهم والتدبر، وإنما مع التفريق بين الحفظ والفقه، حيث قال:

«المسابقة على حفظ القرآن والحديث والفقه وغيره من العلوم النافعة والإصابة في المسائل؛ هل تجوز بعوض؟ مَنَعَه: أصحاب مالك، وأحمد، والشافعي، وجَوَّزه: أصحاب أبي حنيفة، وشيخنا، وحكاه ابن عبد البر عن الشافعي، وهو أولى من الشِّبَاك والصِّراع والسِّباحة، فمن جَوَّز المسابقة عليها بعوض؛ فالمسابقة على العلم أولى بالجواز، وهي صورة مراهنة الصدِّيق لكفار قريش على صحة ما أخبرهم به وثبوته، وقد تقدم أنه لم يقم دليلٌ شرعيٌّ على نسخه، وأن الصدِّيق أخذ رهنهم بعد تحريم القمار، وأن الدين قيامه بالحجَّة والجهاد، فإذا جازت المراهنة على آلات الجهاد؛ فهي في العلم أولى بالجواز، وهذا القول هو الراجح»[1].

وأختم هذا الوجه بكلامٍ نافعٍ له رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حسم به مادة الخلاف؛ حيث قال:

«فجعل النبي ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات.

**الطبقة الأولى**: ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين

(١) كتاب: «الفروسية» (ص: ٣١٨).

قاموا بالدين علمًا وعملًا ودعوةً إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، فهؤلاء أتباع الرسل صلوات الله عليه وسلامه حقًّا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زَكَت، فقبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فَزَكَت في نفسها، وزَكَا الناس بها.

وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة علىٰ الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء صلىٰ الله عليهم وسلم...

فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه في الدين، والبصر بالتأويل، ففجَّرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورُزِقت فيها فهمًا خاصًّا...

فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض، وهو الذي تميَّزت به هذه الطبقة عن:

**الطبقة الثانية**: فإنها حفظت النصوص، وكان همُّها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتلقَّوها منهم، فاستنبطوا منها، واستخرجوا كنوزها، واتَّجروا فيها، وبذروها في أرضٍ قابلةٍ للزرع والنبات، فاستخرجوا غوامضها وأسرارها، ووردوها كلٌّ بحَسَبِهِ ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].

وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها، فرُبَّ حامل فقهٍ غير فقيه، ورُبَّ حامل فقهٍ إلىٰ من هو أفقه منه**».

وهذا عبد الله بن عباس حَبر الأمة وترجمان القرآن، مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثًا الذي يقول فيه: «سمعت»، و «رأيت»، وسمع الكثير من الصحابة، وبورِك في فهمه والاستنباط منه حتىٰ ملأ الدنيا علمًا وفقهًا.

**قال أبو محمد بن حزم**: وجُمعت فتاويه في سبعة أسفار كبار.

وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمع كما سمعوا، وحفظ

كما حفظوا ولكن أرضَه كانت من أطيب الأراضي وأقبلِها للزرع، فبذر فيها النصوص فأنبتت من كل زوجٍ كريم ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وأين تقع فتاوىٰ ابن عباس، وتفسيره، واستنباطه، من فتاوىٰ أبي هريرة وتفسيره؟! وأبو هريرة أحفظ منه، بل هو حافظ الأمة علىٰ الإطلاق، يُؤدِّي الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درسًا، فكانت هِمَّتُه مصروفةً إلىٰ الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه، وهِمَّة ابن عباس مصروفةٌ إلىٰ التفقه والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

**وهكذا الناس بعده قسمان:**

قسمٌ حُفاظٌ معتنون بالضبط، والحفظ، والأداء، كما سمعوا، ولا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه.

وقسمٌ معتنون بالاستنباط، واستخراج الأحكام من النصوص، والتفقُّه فيها...

فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالىٰ به رسوله ﷺ، وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأسًا.

**وأما الطائفة الثالثة**: وهم أشقىٰ الخلق، الذين لم يقبلوا هدىٰ الله، ولم يرفعوا به رأسًا، فلا حِفظ، ولا فَهم، ولا رواية، ولا دراية، ولا رعاية.

**فالطبقة الأولىٰ**: أهل روايةٍ ورعايةٍ ودراية.

**والطبقة الثانية**: أهل روايةٍ ورعايةٍ، ولهم نصيبٌ من الدراية، بل حظُّهم من الرواية أوفر.

**والطبقة الثالثة**: الأشقياء، لا رواية، ولا دراية، ولا رعاية ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، فهم الذين يُضيِّقون الديار، ويُغلون الأسعار،

إن هَمُّ أحدِهم إلا بَطنُه وفَرجُه، فإن ترقَّت هِمَّته فوق ذلك، كان هَمُّه - مع ذلك - في لباسه وزينته، فإن ترقَّت هِمَّتُه فوق ذلك، كان في داره وبستانه ومركوبه، فإن ترقَّت هِمَّتُه فوق ذلك، كان هَمُّه في الرياسة والانتصار للنفس الكلبيَّة، فإن ارتفعت هِمَّتُه عن نصرة النفس الكلبيَّة، كان هَمُّه في نصرة النفس السَّبُعيَّة، وأما النفس المَلكِيَّة فلم يُعْطَها أحدٌ من هؤلاء...»[١].

**ثالثًا:** أن كلام القرطبي نفسه حجةٌ على المُستدلين به لهذه المسألة، يُدرك ذلك كل من تأمَّل سابق كلامه المُستدَل به ولاحقه، حيث قال:

«باب ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه.

فأول ذلك أن يخلص في طلبه لله عَزَّوَجَلَّ كما ذكرنا، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره، في الصلاة أو في غير الصلاة لئلا ينساه.

روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ، وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ**».

وينبغي له أن يكون لله حامدًا، ولنعمه شاكرًا، وله ذاكرًا، وعليه مُتوكلًا، وبه مُستعينًا، وإليه راغبًا، وبه مُعتصمًا، وللموت ذاكرًا، وله مُستعدًّا.

وينبغي له أن يكون خائفًا من ذنبه، راجيًا عفو ربه، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذ لا يعلم بما يُختم له، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه، لحسن الظن بالله، قال رسول الله ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن**»؛ أي: أنه يرحمه ويغفر له.

---

(١) الوابل الصيب (ص: ١٣٥).

وينبغي له أن يكون عالمًا بأهل زمانه، مُتحفِّظًا من سلطانه، ساعيًا في خلاص نفسه، ونجاة مُهجَته، مُقدِّمًا بين يديه ما يَقدر عليه من عَرَض دنياه، مُجاهدًا لنفسه في ذلك ما استطاع.

وينبغي له أن يكون أهم أموره عنده الورع في دينه، واستعمال تقوىٰ الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه.

**وقال ابن مسعود:** ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مُستيقظون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخضوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون.

**وقال عبد الله بن عمرو:** لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن، لأن في جوفه كلام الله تعالىٰ.

وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتَّصاون عن طُرق الشبهات، ويُقِل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه، ويأخذ نفسه بالحلم والوقار.

وينبغي له أن يتواضع للفقراء، ويتجنب التكبر والإعجاب، ويتجافىٰ عن الدنيا وأبنائها إن خاف علىٰ نفسه الفتنة، ويترك الجدال والمِراء، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب.

وينبغي له أن يكون ممن يُؤمَن شَرُّه، ويُرجىٰ خَيرُه، ويُسلم من ضرِّه، وألا يسمع ممن نَمَّ عنده، ويُصاحب من يعاونه علىٰ الخير، ويدله علىٰ الصدق ومكارم الأخلاق، ويَزينه ولا يَشِينه.

وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو؛ فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أقبح أن يُسأل عن

فقه ما يتلوه ولا يدريه؛ فما مَثَل من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفارًا.

وينبغي له أن يعرف المكي من المدني ليُفرق بذلك بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض الله في أول الإسلام، وما زاد عليه من الفرائض في آخره...

**وقد قال الضحاك في قوله تعالىٰ:** ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧٩]؛ قال: حقٌّ علىٰ كل من تعلم القرآن أن يكون فقيها.

**وذكر ابن أبي الحواري؛ قال:** أتينا فضيل بن عياض سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة، فوقفنا علىٰ الباب فلم يأذن لنا بالدخول، فقال بعض القوم: إن كان خارجًا لشيءٍ فسيخرج لتلاوة القرآن، فأمرنا قارئًا فقرأ فاطَّلع علينا من كُوَّة، فقلنا: السلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليكم السلام، فقلنا: كيف أنت يا أبا عليٍّ، وكيف حالك؟ فقال: أنا من الله في عافيةٍ ومنكم في أذىٰ، وإن ما أنتم فيه حَدَثٌ في الإسلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون! ما هكذا كنا نطلب العلم، ولكنا كنا نأتي المَشيخة فلا نرىٰ أنفسنا أهلًا للجلوس معهم، فنجلس دونهم ونسترق السمع، فإذا مرَّ الحديث سألناهم إعادته وقيَّدناه، وأنتم تطلبون العلم بالجهل، وقد ضيَّعتم كتاب الله، ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاءً لِمَا تريدون، قال: قلنا قد تعلمنا القرآن، قال: إن في تعلمكم القرآن شغلًا لأعماركم وأعمار أولادكم، قلنا: كيف يا أبا عليٍّ؟ قال: لن تَعلَّموا القرآن حتىٰ تعرفوا إعرابه، ومُحكَمه من مُتشابهه، وناسخه من منسوخه، إذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة، ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ

فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨].

**قلت**: فإذا حصلت هذه المراتب لقارئ القرآن كان ماهرًا بالقرآن، وعالمًا بالفرقان، وهو قريبٌ علىٰ من قرَّبه عليه، ولا ينتفع بشيءٍ مما ذكرنا حتىٰ يُخلص النية فيه لله جل ذكره عند طلبه أو بعد طلبه كما تقدم»[١].

فالعلامة القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحث قارئ القرآن علىٰ كل هذه الفضائل، وهذه العلوم؛ التي ترتقي بصاحبها إلىٰ منازل العلماء، ولا يمنع أحدًا من حفظ القرآن، ولا من تلاوته، ولا يُزهِّد أحدًا فيه، يُدرك ذلك كل من يفهم الخطاب، إذ لا قائل بأن تلاوة القرآن، أو حفظ ألفاظه، لا تصح ولا تُقبل إلا بأن يأتي صاحبها بكل هذه الأمور.

**رابعًا**: أن العلماء قد حملوا كلام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ما هو أكمل وأتم لقارئ القرآن، وليس فيهم من حمله علىٰ بدعية حفظ القرآن أو تلاوته دون فهمٍ لمعانيه.

**قال العلامة الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٢٥٠هـ)**: «واعلم أن الأحاديث في فضائل القرآن كثيرةٌ جدًّا، ولا يتم لصاحب القرآن ما يطلبه من الأجر الموعود به في الأحاديث الصحيحة حتىٰ يفهم معانيه، فإن ذلك هو الثمرة من قراءته[٢].

**ثم استدل لذلك بكلام القرطبي؛ فقال:**

**قال القرطبي**: ينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو؛ فما أقبح بحامل القرآن أن يتلو فرائضه

---

(١) تفسير القرطبي (١ / ٥٣).

(٢) قلت: تأمل قوله: «ولا يتم لصاحب القرآن... إلخ»، فنفىٰ عنه الكمال والتمام، ولم ينفِ عنه الصحةَ، ولا الأجرَ والثوابَ، فضلًا عن أن يجعله قد أتىٰ بدعةً من البدع؛ خالف فيها هديَ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وخرج عن جماعتهم.

وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم معنىٰ ما يتلوه، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه، وما أقبح أن يُسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه، فما مثل من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفارًا، وينبغي له أن يعرف المكي من المدني، ليُفرِّق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما فرض في أول الإسلام، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره، فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن»[١].

**خامسًا:** أن القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد بوَّب بابًا في ذكر جُملٍ من فضائل القرآن والترغيب فيه وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعامل به، ثم ذكر تحته من الأحاديث والآثار ما يدل دلالةً ظاهرةً علىٰ ما يعتقده في هذا الباب، بغض النظر عن صحة هذه الأحاديث والآثار أو ضعفها، إذ المقصود معرفة مذهبه في هذا الباب، إذ ذكر ما فيه دلالةٌ ظاهرةٌ علىٰ فضل تلاوة القرآن، وعلىٰ حفظه عن ظهر قلب، دون أن يُقيِّد ذلك بالفهم والتدبر، مما يُعكِّر علىٰ المستدلِّين بقوله - علىٰ إخراجهم حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي السلف[٢] - فهمهم، واستدلالهم، وأنهم قد حمَّلوا كلامه ما لا يحتمل، إذ كان مما ذكره تحت هذا التبويب:

حديث: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ...**» الحديث.

وحديث: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيُتَعْتِعُ**

---

(١) فتح القدير (١ / ٧١).

(٢) أو عن هدي الصحابة بناءً علىٰ تفريق هذه «المجموعة»؛ «مجموعة النهج - غير - الواضح» بين الصحابة وبين مَن جاء بعدَهم من الأئمة، وحصر لفظة: «السلف» في الصحابة، دون من سواهم، كما سبق أن ذكرت هذا الأمر عنهم في عدة مواطن.

**فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**».

وحديث: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ** ﴿الٓمٓ﴾ **حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلْفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**».

وحديث: «**يَجِيءُ القُرآنُ يومَ القِيامَةِ فيَقُولُ: يا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَس تاجَ الْكَرامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَىٰ عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**».

وحديث: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَلَاهُ وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، كُلٌّ قَدْ وَجَبَتْ لَهُ النار**».

ثم ذكر عن أم الدرداء: أنها دخلت علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فقالت لها: «مَا فَضْلُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَقْرَأْهُ مِمَّنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ فقالت عائشة رضىٰ الله عنها: إِنْ عَدَدَ آيِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ عَدَدِ دَرَجِ الْجَنَّةِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَفْضَلَ مِمَّنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ».

**وقد قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عند تفسير قوله تعالىٰ:** ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

**قال:** «قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ تفريج الكروب، وتطهير العيوب، وتكفير الذنوب، مع ما تفضَّل به تعالىٰ من الثواب في تلاوته، كما روىٰ الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ** ﴿الٓمٓ﴾ **حَرْفٌ، بَلْ أَلْفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[1].

**سادسًا:** أن العلامة القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء الذين يُقدِّمون الصغير في

---

(١) تفسير القرطبي (١٠ / ٢٨٠).

الإمامة إذا رأوه حافظًا للقرآن، مستدلاً على ذلك بحديث عمرو بن سلمة.

فقد ذكر عن أهل العلم أنهم قالوا: أحق الناس بالإمامة أقرؤهم لكتاب الله وأعلمهم بالسنة وقالوا: صاحب المنزل أحق بالإمامة، وقال بعضهم: إذا أذِن صاحب المنزل لغيره فلا بأس أن يُصلي به، وكرهه بعضهم وقالوا: السنة أن يُصلي صاحب البيت.

ثم ذكر عن ابن المنذر أنه قال: روينا عن الأشعث بن قيس أنه قدَّم غلامًا وقال: «إنما أقدم القرآن»، وأن ممن قال: «**يؤم القوم أقرؤهم**» ابن سيرين والثوري وإسحاق وأصحاب الرأي.

**ثم قال القرطبي**: قال ابن المنذر: «بهذا نقول لأنه موافق للسنة»...

**إلى أن قال القرطبي**: «قلت: إمامة الصغير جائزةٌ إذا كان قارئًا، ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن سلمة قال: فذكره.

**ثم قال**: «وممن أجاز إمامة الصبي غير البالغ الحسن البصري، وإسحاق بن راهويه، واختاره ابن المنذر إذا عقل الصلاة وقام بها؛ لدخوله في جملة قوله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم**» ولم يَستثنِ، ولحديث عمرو بن سلمة»»[1].

**سابعًا**: وبه أختم تبرئة العلامة القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذا المذهب الرديء، إذ ذكر اختلاف العلماء في مس المصحف من غير وضوء، ثم قال:

«وفي مس الصبيان إياه على وجهين:

أحدهما: المنع اعتبارًا بالبالغ.

والثاني: الجواز؛ لأنه لو مُنع لم يَحفظ القرآن؛ لأن تعلمه حال الصِّغَر، ولأن

(١) تفسير القرطبي (١ / ٣٩٤).

الصبيَّ وإن كانت له طهارةٌ إلا أنها ليست بكاملة؛ لأن النية لا تصح منه، فإذا جاز أن يَحمله علىٰ غير طهارةٍ كاملة، جاز أن يحمله مُحدِثًا»[1].

وهذا قولٌ لا يحتمل التأويل من أن القرآن عند القرطبي إنما يُحفَظ ويُتعلَّم في الصِّغَر، حتىٰ أنه استدل علىٰ جواز مسِّه للمُحدِث؛ لكي لا يُصرف الصغير عن حفظه.

فهذه سبعة أوجه تُبيِّن بطلان نسبة القول بإخراج حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه إلىٰ العلامة القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن تتبَّع كلامه في هذا الباب، وقرأه قراءة مُسترشدٍ، طالبٍ للحق؛ لاكتفىٰ به عمَّا سواه، ولَمَا احتاج لأنْ يتتبَّع قول غيره من العلماء ليفهم هذه المسألة، ولا ليُشغِّب بها علىٰ هذا الموضوع؛ إذ فيما ذكره وقرره غُنيةٌ عن البحث والنظر في كتبٍ أخرىٰ، ولكن لا أقول إلا: الله المستعان، وإليه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المشتكىٰ مما عليه هؤلاء؛ أصحاب القول الجديد المُحدَث من اللعب والتلبيس والتدليس!!.

وهذه الأوجه السبعة؛ من تدبَّرها وفهمها فهمًا جيدًا؛ لرأىٰ الأمر واضحًا، ولانكشف له ما عند المُستدلِّين بمثل هذه الاستدلالات من الخلل، ولَمَا شوَّشت عليه مثل هذه الاستدلالات، ولذلك فسأختصر الإجابة علىٰ باقي الاستدلالات بقدر المُستطاع، إذ فيما سبق ذكره كفاية لمعرفة بطلان القول الجديد المُحدَث.

- **الاستدلال الثاني:**

استدلالهم بقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠٦هـ).

فقد ذكروا عنه أنه سئل عن فضل حفظ القرآن؟.

---

(١) تفسير القرطبي (١٧ / ١٩٥).

**فأجاب**: «أما ما ورد في الفضل في حفظ القرآن هل المراد حفظه مع فهمه؟ فلا يحضرني جواب يفصل المسألة، ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد في زمن النبي ﷺ والخلفاء، إلا أشياء خاصة لا عامة وأظنه لو وجد في زمانهم لاشتهر».

وقبل الإجابة علىٰ هذا الاستدلال؛ سأذكر الكلام كاملًا كما هو مذكور في «الدرر السنية»، ثم أشرع في المقصود، وذلك قوله:

«أما ما ورد في الفضل في حفظ القرآن، هل المراد حفظه مع فهمه؟ فلا يحضرني جواب يفصل المسألة، ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد في زمن النبي ﷺ والخلفاء، إلا أشياء خاصة لا عامة، وأظنه لو وُجِد في زمانهم لاشتهر، كشهرة الرجل الذي يُسمىٰ عندنا: «حمار الفروع» لِمَا ذُكِر أنه يَحفظ الفروع ولا يَفهمه؛ وقد قال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة: ٥] الآية.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن هذه الآية ولو نزلت في أهل التوراة، فالقرآن كذلك لا فرق بينهما، وكذلك ذم القراء الذين يقرؤون بلا فهم معنىٰ، وفيهم قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، أي: تلاوة بلا فهم؛ والمراد من إنزال القرآن: فهم معانيه والعمل، لا مجرد التلاوة»[1].

هذا نَصُّه بحروفه، والجواب علىٰ هذا الاستدلال من وجوه:

**الوجه الأول**: أن يُقال فيه كما قيل في الجواب عن كلام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في الوجهين أولًا، وثانيًا.

**الوجه الثاني**: أن المتأمِّل في كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛

---

(١) الدرر السنية (١٣ / ٢٢).

يجد أنه قال: «فلا يحضرني جواب يفصل المسألة»؛ فلم يَجزم بشيءٍ، ولم يَنص علىٰ أن الفضل لا يناله إلا من جمع بين الحفظ والفهم، ثم أشار - مع عدم جزمه - إلىٰ وجود هذا النوع من الناس في زمن النبي ﷺ والخلفاء، كما هو واضحٌ من قوله: «لا يوجد في زمن النبي ﷺ والخلفاء، إلا أشياء خاصة لا عامة».

ووجود أشياء خاصة؛ هو وحده كافٍ لأنْ ينفي البدعية التي قال بها أصحاب القول الجديد المُحدَث، وأن هذا الحفظ خلاف هدي الصحابة، وخروج عن جماعتهم، وهذا واضحٌ في كلامه، ولا أظنه يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ مسكةٍ من علم.

ويا ليت أصحاب هذا القول الجديد المُحدَث سلكوا مسلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلم يجزموا ببدعية أمرٍ قد وُجِد في زمن النبي ﷺ والخلفاء، كما ذكروه هم أنفسهم عن الشيخ أنه قال: «إلا أشياء خاصة لا عامة»[1]، علمًا بأن من هذه الأشياء الخاصة ما جاء دليله في صحيح البخاري، كما هو ثابتٌ عن عمرو بن سلمة وقد قدَّموه إمامًا لحفظه القرآن وهو ابن ست أو سبع سنين، وقد نال الحفظ، ولم يجمع معه الفهم.

**الوجه الثالث**: أما قول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد في زمن النبي ﷺ والخلفاء، إلا أشياء خاصة لا عامة»، فعبارةٌ دقيقةٌ تدل علىٰ سعة علمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ):

«فلهذا يحتاج المسلمون إلىٰ شيئين:

---

(١) مع عدم وجود مَن قد حكم عليهم بمخالفة هدي الصحابة، والخروج عن جماعتهم، ولا من يجعلهم مخطئين لكونهم قد حفظوا القرآن أو قرأوه دون أن يجمعوا مع هذه القراءة أو الحفظ تعلم التفسير!!، ولو كان الأمر منكرًا كما هي دعوىٰ هذه «المجموعة»؛ لأنكروه، ولَمَا سكتوا عنه.

**أحدهما**: معرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة، بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ، فإن الرسول لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرَّفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلَّغوا تلك المعاني إلىٰ التابعين أعظم مما بلَّغوا حروفه، فإن المعاني العامة التي يحتاج إليها عموم المسلمين، مثل معنىٰ التوحيد، ومعنىٰ الواحد، والأحد، والإيمان، والإسلام، ونحو ذلك، كان جميع الصحابة يعرفون ما أحب الله ورسوله ﷺ من معرفته، ولا يحفظ القرآن كله إلا القليل منهم، وإن كان كل شيء من القرآن يحفظه منهم أهل التواتر... »[1].

وهذا يُحمل علىٰ الكمال والتمام، لا علىٰ تعطيل حفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولا علىٰ تعطيل تلاوته، وقد دلت الأدلة علىٰ فضل الحفظ والتلاوة.

**الوجه الرابع**: أما ما ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عن الإمام ابن القيم، فقد سبق بيان ما عليه ابن القيم في هذا الباب في الأوجه السبعة عند الجواب عن كلام العلامة القرطبي رحم الله الجميع.

وأضيف هنا ما يُبيِّن أن مراد الإمامين: ابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، من مثل هذا الكلام؛ إنما هو الكمال والتمام، وليس المراد منه تعطيل حفظ كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ولا القول ببدعيَّته إذا لم يجمع حافظه بين الحفظ والفهم، كما هو قول أصحاب المذهب الجديد المُحدَث.

وذلك أن كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الواضح منه أنه إنما ذكره في رده علىٰ أهل

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧ / ٣٥٣).

البدع، وعلىٰ المُعطِّلين لمعاني القرآن، ولم يُرِد به عَوامَّ المسلمين، الذين ليس لهم من القرآن إلا حفظ ألفاظه، وفهم ما يحتاجونه منه في تعبُّدهم الله عَزَّوَجَلَّ، لكي يُصحِّحوا عبادتهم.

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت:٧٥١هـ)**: «قال شيخنا وإنما أتىٰ هؤلاء المبتدعة الذين فضَّلوا طريقة الخلف علىٰ طريقة السلف من حيث ظنُّوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقهٍ ولا فهمٍ لمراد الله ورسوله منها، واعتقدوا أنهم بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، وأن طريقة المتأخرين هي استخراج معاني النصوص وصرفها عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ومستنكر التأويلات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف...»[١].

**وقال**: «فتبيَّن أنه لابد لكم من واحدٍ من أمورٍ ثلاثة: إما هذا النفي العام والتعطيل المحض، وإما أن تصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ولا تتجاوزوا القرآن والحديث، وتتبعوا في ذلك سبيل السلف الماضين؛ الذين هم أعلم الأمة بهذا الشأن نفيًا وإثباتًا، وأشد تعظيمًا لله وتنزيهًا له عما لا يليق بجلاله، فإن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا تُرد بالشبهات فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يترك تدبُّرها ومعرفتها فيكون ذلك مشابهةً للذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم خرُّوا عليها صمًّا وعميانًا، ولا يُقال: هي ألفاظٌ لا

(١) الصواعق المرسلة (١ / ١٦٢).

تُعقل معانيها ولا يُعرف المراد منها؛ فيكون ذلك مشابهةً للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، بل هي آياتٌ بيناتٌ دالةٌ علىٰ أشرف المعاني وأجلها، قائمةٌ حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم والإيمان إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل...»[(١)].

**وقال**: «إن الله سبحانه دعا إلىٰ تدبر كتابه وتعقله وتفهمه، وذم الذين لا يفهمونه ولا يعقلونه وأسجل عليهم بالكفر والنفاق، فقال عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٤٢]، وقال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المفهوم، وهذا الذَّم، ثم بيَّن مَن هم المذمومون؛ الذين تتنزَّل عليهم مثل هذه الآيات؛ فقال:

فالقائل إن كتاب الله وسنة رسوله لا يستفاد منهما يقينٌ؛ من جنس هؤلاء، لا فرق بينهم وبينه، وأما من يستفيد منهما العلم واليقين؛ فهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]، وهؤلاء يرونه غير مُفيد وقد كشف سبحانه حال الفريقين بقوله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]، وقال: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]»[(٢)].

---

(١) الصواعق المرسلة (١ / ٢٢٨).

(٢) الصواعق المرسلة (٢ / ٧٩١).

**وقال**: «أن من عارض نصوص الوحي بالعقل لزمه لازمٌ من خمسة؛ لا محيد له البتة، إما تكذيبها، أو كتمانها، وإما تحريفها، وإما تخييلها، وإما تجهيلها، وهو نسبة المصدِّقين لها إلىٰ الجهل؛ إما البسيط، وإما المركب، وفساد اللازم يدل علىٰ فساد الملزوم.

وبيان الملازمة أنه إذا اعتقد أن العقل يخالف ظاهرها فقد اعتقد أن ظاهرها باطلٌ ومحالٌ، فإما أن يُقر بلفظها وأن الرسول جاء به، أو لا، فإن لم يُقر بذلك؛ فهو مُكذِّبٌ، وإن أقرَّ بألفاظها؛ فإما أن يُقر بأنه أراد معانيها وحقائقها، أم لا، فإن أقرَّ بذلك؛ لزمه اعتقاد التخييل فيها والخطاب الجمهوري، وإن لم يُقر بأنه أراد حقائقها وما دلت عليه؛ فإما أن يقول إنه أراد خلاف ظواهرها وحقائقها، أو لا، فإن قال أراد خلاف حقائقها وظواهرها؛ لزمه التحريف والتأويل الباطل، وإن قال لم يُرد ذلك؛ فإما أن يقول لم يُرد بها معنىً أصلًا بل هي بمنزلة الألفاظ المهملة التي لا معنىٰ لها، أو يقول أراد بها معنىً لا يفهمه ولا يعرفه، وهذا هو التجهيل، وقد ذهب إلىٰ كل تقديرٍ من هذه التقادير طائفةٌ من الناس، وقد ذم الله سبحانه الجميع، قال تعالىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٥ - ٧٩]

ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المفهوم، وهذا الذَّم، ثم بيَّن مَن هم

المذمومون؛ الذين تتنزَّل عليهم مثل هذه الآيات؛ فقال:

فذمَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المُحرِّفين لكتابه والأميِّين الذين لا يعلمون منه إلا مُجرَّد التلاوة؛ وهي الأماني، والذين يكتبون فيكتبون الباطل ويقولون هذا حق وهو من عند الله، وذمَّ في عدة مواضع الذين يكتمون ما أنزله من الكتاب والبينات والهدىٰ، وهذه الأنواع الأربعة المذمومة موجودةٌ في هؤلاء المُعرِضين عن نصوص الوحي المعارِضين لها بآرائهم وعقولهم وأهوائهم؛ فإنهم تارة يكتمون الأحاديث والآيات المخالفة لأقوالهم، ومنهم طوائف تضع أحاديث علىٰ وفق مذاهبهم وأهوائهم في الأصول والفروع ويقولون هذا من عند الله، وتارةً يضعون كتبًا بآرائهم وعقولهم وأذواقهم وخيالاتهم ويدَّعون أنها الدين الذي يجب اتباعه ويُقدِّمونها علىٰ نصوص الوحي...»[1].

ومعلومٌ أن مثل هذه الأقوال لا تتنزَّل علىٰ عَوامِّ المسلمين، الذين يتعبَّدون الله عَزَّوَجَلَّ بحفظ ألفاظ القرآن، ولا يحرصون علىٰ دراسة تفسيره، ولا علىٰ فهم معانيه، وإنما يتعلمون ويأخذون منه ما يحتاجونه لعباداتهم، ليُصحِّحوا به عباداتهم، بل ويكون ذلك بسؤال العلماء غالبًا، لا بدراسة التفسير وتدبره، ومثل هؤلاء لا يُنزِّل عليهم هذه النصوص التي ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا جاهلٌ أو صاحب هوىٰ، وحاشا أئمة المسلمين؛ من أمثال: ابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، وغيرهما، من الوقوع في مثل هذا المُنزلق الخطير.

**الوجه الخامس**: أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد بدأ بحفظ القرآن، ثم اشتغل بالعلم وجد في الطلب بعد ذلك كما جاء في ترجمته، فقد قيل فيه:

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٤٨).

«وقرأ القرآن بها حتىٰ حفظه وأتقنه قبل بلوغه العشر، وكان حاد الفهم سريع الإدراك والحفظ، يتعجب أهله من فطنته، وذكائه.

وبعد حفظ القرآن، اشتغل بالعلم وجد في الطلب وأدرك بعض الإرب قبل رحلته لطلب العلم، وكان سريع الكتابة، ربما كتب الكراسة في المجلس»(١).

ولا قائل بأنه كان مخالفًا للصحابة في حفظه القرآن، وخارجًا عن هديهم، وعن جماعتهم؟!.

**الوجه السادس**: أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ هو من الأئمة الذين نقلوا الإجماع علىٰ استحباب حفظ القرآن، ومن الذين يحثون الصغير علىٰ أن يبدأ بحفظه قبل أن يطلب العلم، وهذا ظاهرٌ في قوله:

«ويستحب حفظ القرآن إجماعًا، وهو أفضل من سائر الذكر، ويجب منه ما يجب في الصلاة، ويبدأ الصبيَّ وليُّهُ به قبل العلم؛ إلا أن يَعسُرَ، ويُسن ختمه في كل أسبوع، وفيما دونه أحيانًا، ويَحرُم تأخير القراءة إن خاف نسيانه، ويتعوذ قبل القراءة، ويحرص علىٰ الإخلاص ودفع ما يضاده...»(٢).

**الوجه السابع**: أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء الذين يُقدِّمون قارئ القرآن علىٰ غيره في الإمامة في الصلاة وإن كان صغيرًا، وهذا لا يجتمع وما ينسبه إليه أصحاب القول الجديد المُحدَث مِن أنه يُخرِج حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة، ولا أنه لا يرىٰ تحفيظ القرآن للصِّغار!!.

فقد ذَكَرَ عن أبي مسعودٍ قوله: قال رسول الله ﷺ: «**يؤمُّ القومَ أقرؤُهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً، فأعلمهُم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً،**

(١) الدرر السنية (١ / ٣٧٥).

(٢) آداب المشي إلىٰ الصلاة (ص: ٥٠).

**فأقدمُهُم هجرةً...»** الحديث.

إلىٰ أن قال: وله عن مالك بن الحويرث: «**وَلْيَؤُمَّكُما أكْبَرُكُما**».

قال: وكانا متقاربين في القراءة.

ثم قال: وفي البخاري عن ابن عمر قال: «لَمَّا قدم المهاجرون الأولون نزلوا العُصْبة – موضعٌ بقُباء – قبل مَقْدَمِ النبي ﷺ، فكان يؤمُّهُم سالمٌ مولىٰ أبي حُذيفَة، وكان أكثَرَهُم قُرآنًا، وفيهم عمر بن الخطاب، وأبو سلمة بن عبد الأسد».

وفي حديث عَمْرو بن سلمة: «فنظروا فلم يكن أحدٌ أكثر قرآنًا مني – لِمَا كنتُ أتلقَّىٰ من الرُّكبان – فقدَّموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليَّ بردة، كنت إذا سجدت تقلصت عني»[١].

**وقال:** «وأولىٰ الناس بالإمامة أقرؤهم لكتاب الله. وأما تقديم النبي ﷺ أبا بكر مع أن غيره أقرأ منه كأُبَيٍّ ومعاذ، فأجاب أحمد أن ذلك ليفهموا أنه المقدَّم في الإمامة الكبرىٰ، وقال غيره: لَمَّا قدَّمه مع قوله يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة؛ عُلِم أن أبا بكر أقرؤهم وأعلمهم، لأنهم لم يكونوا يتجاوزون شيئًا من القرآن حتىٰ يتعلموا معانيه والعمل به كما قال ابن مسعود: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات من القرآن لم يتجاوزهن حتىٰ يتعلم معانيهن والعمل بهن»»[٢][٣].

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٩ / ٣٨).

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣ / ٢٦).

(٣) أهل العلم من أهل السنة والجماعة يُعمِلون النصوص، ويَنطلقون في علمهم وفي تقريرهم المسائل من النصوص، ولا يتجاوزونها لغيرها، وليس فيهم من يُشوِّش علىٰ النصوص، أو يُقدم فهمه عليها، وهذا واضحٌ في تعاملهم مع هذا الأثر:

فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمَّا رأىٰ تقديم النبي ﷺ لأبي بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الإمامة علىٰ من هو أقرأ منه، اعتذر لذلك =

**وقال:** «والسنة أن يؤم القوم أقرؤهم، وقال الشافعي: يُقدم الأفقَه إن كان يقرأ ما يكفي، ولنا قوله: «**وإن كانوا في القراءة سواءً، فأعلمهم بالسنة**»...

**إلىٰ أن قال:**

ولا تصح إمامة صبيٍّ لبالغٍ في فرضٍ، وعنه: تصح، لقوله: «**يؤم القوم أقرؤهم**» إلخ، وحديث عمرو بن سلمة رواه البخاري، وهو ابن سبع أو ثمان سنين»[١].

وغيرها كثير، ومن أراد الاستزادة في هذا الباب، فليقرأ: «كتاب تفسير القرآن - باب فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه» من كتاب: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية - المجلد الثالث عشر»، فقد ذكر تحته عدة أحاديث تدل علىٰ فضل التلاوة والحفظ، دون أن يُقيِّده بالفهم، فكان مما ذكر:

---

=

باعتذارٍ يَستقيم معه النص، فأجاب بأنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إنما فعل ذلك ليَفهم عنه المسلمون بأن أبا بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو المقدَّم في الإمامة الكبرىٰ.

وكذلك صنع من أدَّاه اجتهاده من الأئمة إلىٰ القول بغير ما قاله الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ اعتذروا لذلك باعتذارٍ يَستقيم معه النص أيضًا، فقالوا بأن النبي ﷺ لَمَّا قدَّم أبا بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الإمامة علىٰ من هو أقرأ منه، مع قوله يَؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة؛ عُلِم أن أبا بكرٍ أقرؤهم وأعلمهم، مستدلين لقولهم بأن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لم يكونوا يتجاوزون شيئًا من القرآن حتىٰ يتعلموا معانيه والعمل به، وأن هذه مزيةٌ لهم، لا يُجاريهم فيها أحد، ولا يَسبقهم فيها أحد، وأن أبا بكرٍ الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو أولىٰ الصحابة في هذه الأبواب، وفي غيرها من الأبواب، مما فيه مفاضلة بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فالأمر إذًا لا شأن له في إخراج حافظ القرآن أو قارئه دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة، وعن جماعتهم، لا من قريب، ولا من بعيد، ولا في تخطئته وتضليله، وإنما هو في بيان ما هو أتم وأكمل في هذا الباب.

هكذا ينبغي أن يُتعامل مع النصوص، لا أن يُهجم عليها وتُصادم وتُبطل؛ كما هو صنيع هذه «المجموعة»؛ «مجموعة النهج - غير - الواضح»، القائل أهلها بإخراج حافظ القرآن أو قارئه دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأثرٍ ظفروا به ظنوه دليلاً لهم، وهو دليلٌ علىٰ جهلهم، أو هواهم، والله المستعان!!.

(١) مختصر الإنصاف والشرح الكبير (ص:١٢٣).

- **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».**

- **«اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان لصاحبهما؛ اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة».**

- **«من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ».**

- **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية»**؛ ولأحمد نحوه من حديث أبي سعيد: **«ويصعد بكل آية درجة، حتىٰ يقرأ آخر شيء منه».**

إلىٰ غير ذلك من الأحاديث.

- **الاستدلال الثالث:**

استدلالهم بقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣٣هـ).

فقد ذكروا عنه أنه قال: «القُرَّاء عند السلف هم الذين يقرؤون القرآن ويعرفون معانِيه، أما قراءته من غير فهمٍ لمعناه؛ فلا يُوجد في ذلك العصر، وإنَّما حدث بعد ذلك من جملة البدع».

**والجواب علىٰ هذا الاستدلال من وجوه:**

**الوجه الأول:** أن لفظة «قارئ» تحتمل أكثر من معنىٰ كما لا يخفىٰ، فقد تُذكر ويُراد بها مُجرَّد القراءة، فتُطلَق علىٰ قارئ القرآن، وعلىٰ حافظه عن ظهر قلبٍ،

كما قيل: «الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري».

وقد تُطلق ويُراد بها العُبَّاد، كما كانت تُطلق علىٰ الخوارج قبل خروجهم، وفي الحديث: «**أكثر منافقي أمتي قراؤها**»، وهذا لا يُراد به العلماء بالكتاب والسنة، ولا يُراد به أهل الديانة والاستقامة، وقد وصفهم بالقرَّاء، وبوَّب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦هـ) علىٰ هذا الحديث؛ فقال:

«باب ما يدل علىٰ أصوات العباد قول النبي ﷺ: «**أكثر منافقي أمتي قراؤها**»، فعَدَّ قرَّاءَ المعطلة والجهمية وأهل الأهواء وغيرهم، وقال النبي ﷺ: «**يقرأ القرآن رجال يمرقون من الدين لا يجاوز حلوقهم، هم شر الخلق والخليقة، وقال يتعجَّلونه ولا يتأجَّلونه**»»[(١)].

وقد تُطلق ويُراد بها العلماء، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٥٢هـ)، حيث قال:

«القراء بضم القاف وتشديد الراء مهموز جمع قارئ والمراد بهم العلماء بالقرآن والسنة العُبَّاد»[(٢)].

وذكره بدر الدين العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٥٥هـ) أيضًا، فقال:

«القراء بضم القاف قارئ، والمراد بهم العلماء بالقرآن والسنة والعُبَّاد، وكان في الصدر الأول إذا أطلقوا القُرَّاء أرادوا بهم العلماء»[(٣)].

فلفظة: «قارئ»؛ تحتمل كل هذه المعاني، وهذا أمرٌ ظاهر، لا يُنكره إلا مُكابر.

ومن الواضح جدًّا أن العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أطلقه وأراد به

---

(١) خلق أفعال العباد (ص: ١١٨).

(٢) فتح الباري (١٣ / ٢٥٧).

(٣) عمدة القاري (٢٥ / ٢٩).

العلماء، وأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أحرص الناس علىٰ العلم، وعلىٰ معرفة ما يتعبَّدون به الله عَزَّوَجَلَّ، وأن هذا الأمر قد ضعف فيمن بعدهم حتىٰ ظهرت فيهم البدع، وصار المسلمون لا يحرصون علىٰ معرفة العبادة التي يتعبَّدون بها الله عَزَّوَجَلَّ بدليلها، كما كان الأمر في العهد الأول؛ إلا من رحم الله منهم، وهذا ما عناه حين قال: «أما قراءته من غير فهمٍ لمعناه؛ فلا يُوجد في ذلك العصر، وإنَّما حدث بعد ذلك من جملة البدع»، أي: ليس هو من هدي المنتسبين للعلم من أهل السنة والجماعة، وإنما هو هديٌ لأهل البدع، ومما حدث بعد عصر الصحابة من جملة البدع.

وكونه لا وجود له عند أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمحمولٌ علىٰ ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من فضل الصحابة، وأنهم حريصون علىٰ العلم وعلىٰ تلقِّيه، إذ لا تجد فيهم تقصيرًا ولا إهمالًا لجانبٍ من جوانب الدين، وأن هذا الحرص وهذا الاهتمام علىٰ العلم لا تجده فيمن بعدهم إلا من رحم الله تعالىٰ، حيث قال:

«وقد قام عبد الله بن عمر - وهو من أصاغر الصحابة - في تعلم البقرة ثماني سنين، وإنما ذلك لأجل الفهم والمعرفة[1]. وهذا معلوم من وجوه:

**أحدها**: أن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن - المنزل عليهم - لفظًا ومعنًىٰ؛ بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنىٰ أوكد، فإنه قد عُلِم أنه من قرأ كتابًا في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك؛ فإنه لابد أن يكون راغبًا في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن قرأوا كتاب الله تعالىٰ المنزل إليهم الذي به هداهم الله، وبه عرَّفهم الحق والباطل، والخير والشر، والهدىٰ والضلال، والرشاد

---

(١) أمرٌ أراده هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو شأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما هو معلومٌ ومشهورٌ عنهم، وليس هو بلازمٍ لكلِّ أحد، ومن أوجبه علىٰ جميع المسلمين؛ فعليه الدليل، وهيهات هيهات!!.

والغي. فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات[١]...»[٢].

فهذا ما أراده الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم يُرِد أن يُلحِق تلاوة القرآن، أو حفظه، دون فهمٍ لمعناه؛ بما أُحدِث من البدع بعد زمن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لا من قريب ولا من بعيد!!.

وحاشاه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يقول ببدعية أمرٍ قد كثرت أدلته من الكتاب ومن السنة، وتتابع عليه الأئمة من أهل السنة والجماعة علىٰ مر العصور والأزمان، كما أنه حاشاه أيضًا أن يقول ببدعية أمرٍ قد وُجِد في زمن النبي ﷺ، وفي زمن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كما سبق أن مرَّ معنا من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك حين أشار إلىٰ وجود هذا الحفظ، ولكن: «أشياء خاصة لا عامة»، وذلك قوله:

«ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد في زمن النبي ﷺ والخلفاء، إلا أشياء خاصة لا عامة».

وهو مما ذكره أصحاب القول الجديد المُحدَث أنفسهم، مستدلين به علىٰ تقرير قولهم الباطل المُحدَث، وهذا إقرارٌ منهم علىٰ وجود مثل هذا الحفظ في العصر الأول؛ عصر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أرادوا ذلك أم لم يُريدوه، وقصدوا ذلك أم لم يقصدوه، وما تعصُّبهم ضد هذا الإقرار الذي أقروا به، وضد كل ما في الباب من أدلة تخالف مذهبهم الجديد المُحدَث، إلا بسبب الهوىٰ أو الجهل المركب، أو بسبب اجتماعهما فيهم، وهذان الأمران إذا اجتمعا في شخصٍ ما؛ فإنهما يَصرفانه عن الحق، وعن الانقياد له، بل ويَصرفانه حتىٰ عن فهم ما يستدل

---

(١) وكونها أعظم الرغبات لا تعني تضليل من لا يَرغب في ذلك، وإخراجه عن هدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وعن جماعتهم.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٥٦).

هو به لتقرير مذهبه الذي تبناه، فتراه يفهم دليله الذي استدل هو به بفهمٍ منكوس، وهو ما رأيناه واضحًا جليًّا في هذه المسألة التي بين أيدينا.

فهذه «المجموعة» قد كثرت دندنتها علىٰ نفي وجود حُفَّاظ أو قُرَّاء لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ خلاف الطريقة المذكورة في أثر أبي عبد الرحمن السلمي في زمن الصحابة، ثم أوقعها الهوىٰ والجهل المركب بأن تستدل وتنتصر لمذهبها الجديد المُحدَث بقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ، الذي يقضي علىٰ مذهبهم وعلىٰ قولهم الجديد المُحدَث، وينسفه نسفًا، إذ أثبت وجود هؤلاء الحُفَّاظ، فقال: «إلا أشياء خاصة لا عامة».

فهم يستدلون لتقرير مذهبهم الجديد بما هو قاضٍ عليه ومبطلٌ له، وهذا يؤكد لنا ما سبق ذِكرُه من أن الهوىٰ والجهل المركب إذا اجتمعا في شخص؛ فإنهما يَصرفانه ليس فقط عن قبول الحق والانقياد له، بل يَصرفانه حتىٰ عن فهم ما يَستدل هو نفسه به من أدلة يقرر بها مذهبه الباطل، وعن ضبط ما يقول ويقرر في المسألة المعينة التي يتبناها، والله المستعان!!.

**أقول**: فمن أعظم الجهل حقيقةً أن يُظنَّ بهذا العالم الجليل سليمان بن عبد الله رَحِمَهُٱللَّهُ هذا الظن، وأن يُحمل كلامه علىٰ هذا المعنىٰ الباطل، الذي يُزهِّد في حفظ القرآن، ويَحكم علىٰ حافظه بالضلال!!.

وهذا ما سيظهر في الوجه الثاني وما بعده، إذ هو رَحِمَهُٱللَّهُ شأنه شأن علماء زمانه، فقد حفظ القرآن في الصِّغَر، كما هو مذكورٌ عن العلماء قديمًا وحديثًا في تراجمهم، ولم نجد من يجعل فعلهم هذا بدعةً، وخروجًا عن هدي السلف.

ومما يُبيِّن هذا الأمر ويوضحه، قوله رَحِمَهُٱللَّهُ:

«قال الأصوليون لابد للمستدرك من دليلٍ ونظرٍ وعلمٍ، قال الإمام أحمد:

الدال هو الله، والدليل هو القرآن، والمبيِّن هو الرسول ﷺ، والمستدل أولو العلم، هذه قواعد الإسلام، والنظر هو الفكر لمعرفة مطلوب من تصوُّرٍ أو تصديقٍ، والعلم وهو حكم الذهن الجازم المطابق الموجب، فلا طريق إلىٰ معرفة الله وإلىٰ الوصول إلىٰ رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة إلا بالعلم النافع؛ الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، فهو الدليل عليه، وبه يُهتدىٰ في ظلمات الجهل والشبه والشكوك، ولهذا سمىٰ الله كتابه نورًا لأنه يُهتدىٰ به في ظلمات الجهل والوهم، قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

ومثَّل النبي ﷺ حملة العلم الذي جاء به، بالنجوم التي يُهتدىٰ بها في الظلمات، ففي المسند للإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر**».

فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة، ومادام العلم باقيًا في الأرض؛ فالناس علىٰ هدًىٰ، وبقاء العلم ببقاء حملته العاملين به، فإذا ذهبت حملته أو من يقوم به وقع الناس في الضلال، كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء، فإذا لم يَجدوا عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»، وذكر النبي ﷺ يومًا رفع العلم فقيل له: كيف يذهب العلم وقد قرأنا القرآن وأقرأنا نساءنا وأبناءنا فقال النبي ﷺ: «**هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارىٰ فماذا تغني عنهم شيئًا**»، فسئل عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن هذا الحديث فقال: «لو شئت لأخبرتكم بأول علم يُرفع عن

الناس الخشوع»، وإنما قال عبادة هذا لأن العلم قسمان:

**أحدهما**: ما كان ثمرته في قلب الإنسان وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله المقتضية لخشيته ومهابته وإجلاله والخضوع له ورجائه ومحبته ودعائه والتوكل عليه ونحو ذلك مما هو عبادة مختصة بجلاله، فهذا هو العلم النافع كما قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إن أقوامًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع».

**وقال الحسن**: العلم علمان: علم اللسان: فذلك حجة الله علىٰ بني آدم، وهو كما في الحديث: «**القرآن حجةٌ لك أو عليك**»، وعلم القلب: وهو العلم النافع الذائد لصاحبه عن جميع المهالك؛ وهذا لا يمكن إلا بصلاح تلك المضغة التي قد نص عليها النبي ﷺ في قوله: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»...»[1].

وفيه تفريقٌ واضحٌ منه بين علم اللسان الذي هو حجة الله علىٰ بني آدم، مستدلاًّ له بحديث: «**القرآن حجةٌ لك أو عليك**»، وبين علم القلب؛ الذي هو العلم النافع الذائد لصاحبه عن جميع المهالك.

**الوجه الثاني**: أن الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ قد بدأ بحفظ القرآن، فحفظه في الصِّغَر، ثم أقبل بعد ذلك علىٰ العلم والطلب، كما جاء في ترجمته.

قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٤٠٥هـ) مترجمًا له:

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق (ص: ٤٥).

«هو العالم النحرير، والعلامة الذكي الشهير، الفقيه المُحدِّث الأصولي، الشيخ سليمان ابن الشيخ العلامة عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وُلد هذا العالم المتبحر الفقيه سنة ألف ومائتين من الهجرة في بلدة الدرعية، وكانت الدرعية ذلك اليوم في أيام سعدها، وأوج عزها، زاخرة بالعلماء الكبار، والجهابذة الحفاظ، من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من الوافدين علىٰ الدرعية والمقيمين بها من العلماء الأعلام، فنشأ هذا العالم في هذا الوسط العلمي، فقرأ القرآن حتىٰ حفظه، ثم أقبل برغبته الشديدة علىٰ العلم والطلب، فقرأ علىٰ أبيه الشيخ عبد الله...»(١).

وهذا أمرٌ معلوم، إذ كان العلماء آنذاك أول ما يبدؤون به حفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وكان والده وشيخه عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصًا علىٰ هذا الأمر جدًّا، حتىٰ جاء من أقواله:

«إن كان الحافظ للقرآن حافظه عن ظهر قلبٍ، ورِدَاهُ بَيِّنٌ، يَكرَه الدين، ويُوالي المنافقين موالاةً بينةً، ويتجاسر علىٰ الأمور المُحرَّمة، مثل الزنىٰ، والسرقة، والخيانة، فإن كان هذه صفة حاله، فلا يُصلي بالجماعة.

فإن كان ما فيه شيءٌ بَيِّنٌ، إنما هو تهمةٌ، أو أن غيره خيرٌ منه، مثل الجهاد، والمذاكرة، فالذي حافظ القرآن عن ظهر قلبٍ أحق من الذي ما حفظه، ولو كان أكثر منه عملًا، وأحب منه للدين»(٢).

ولَمَّا سئل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن إمامة الصبي؟.

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص: ٤٤).

(٢) الدرر السنية (٤ / ٤٠٤).

**أجاب:** «تصح إمامة الصبي، إذا كان أقرأ من الذي وراءه، ولو قبل أن يرشد»[١].

**وقال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحق الناس بالإمامة أقرؤهم لكتاب الله، فإذا وُجد القارئ قُدِّم علىٰ غيره»[٢].

وابنه وتلميذه سليمان لا يُخالفه في هذه الأحكام كما سيأتي.

**الوجه الثالث:** أن الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء الذين يُقدِّمون قارئ القرآن علىٰ غيره في الإمامة في الصلاة وإن كان صغيرًا، وهذا لا يجتمع وما ينسبه إليه أصحاب القول الجديد المُحدَث.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامٍ له عن صلاة الجمعة وما تنعقد به:

«ثم اختلف العلماء بعد ذلك في العدد المشترط لها علىٰ أقوال:...

**القول الرابع:** أنها تنعقد بثلاثة: اثنان يستمعان وواحد يخطب؛ وهو قول الأوزاعي، قاله في الشرح. قلت: وهو رواية عن أحمد، اختاره الشيخ تقي الدين بن تيمية، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وهذا القول أقوىٰ من كل ما قبله، واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، قالوا: وهذا صيغة جمع، وأقل الجمع ثلاثة، وبقوله ﷺ: «**إذا كانوا ثلاثةً فليَؤُمَّهُم أحدُهُم، وأحقُّهم بالإمامة أقرؤُهُم**»...»[٣].

**وقال:** «قوله: «السنة أن يؤمَّ القومَ أقرؤهم»؛ هذا ظاهر المذهب لِمَا روىٰ أبو سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إذا كانوا ثلاثةً فليَؤُمَّهُم أحدُهُم، وأحقُّهم بالإمامة أقرؤُهُم**». رواه أحمد، ومسلم، وعن أبي مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**يؤم**

(١) الدرر السنية (٤ / ٤١٠).

(٢) الدرر السنية (٤ / ٤١١).

(٣) الدرر السنية (٥ / ١٥).

**القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً، فأقدمهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فأقدمهم سنًّا** - وفي لفظ: **سلمًا - ولا يؤمنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته علىٰ تكرمته إلا بإذنه**». رواه مسلم.

**قوله:** «ثم أفقههم»؛ وذلك للخبر السابق، فإن اجتمع فقيهان قارئان، وأحدهما أفقه أو أقرأ قُدِّم، فإن كانا قارئين، قُدِّم أجودهما قراءةً، أو أكثرهما، ويُقدَّم قارئٌ لا يعرف أحكام الصلاة علىٰ فقيهٍ أميٍّ، فإن اجتمع فقيهان؛ أحدهما أعلم بأحكام الصلاة قُدِّم؛ لأن علمه يؤثر في تكميل الصلاة»[1].

**وقال:** قوله: «ولا إمامة الصبي لبالغ.. إلخ»؛ لا يصح ائتمام البالغ بالصبي في الفرض، نصَّ عليه أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو قول ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وبه قال عطاء ومجاهد والشعبي ومالك والثوري والأوزاعي وأبو حنيفة، وأجازه الحسن والشافعي وإسحاق وابن المنذر، وذكر أبو الخطاب روايةً في صحة إمامته في الفرض بناءً علىٰ إمامة المفترض بالمتنفل.

ووجه ذلك قوله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**»، فيدخل في عموم ذلك، وروىٰ عمرو بن سلمة الجرمي أن النبي ﷺ قال: «**يؤمكم أقرؤكم**»، قال: فكنت أؤمهم وأنا ابن سبع سنين او ثمان سنين» رواه البخاري.

ولنا قول ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولأن الإمامة حال كمالٍ، والصبي ليس من أهل الكمال، فأما حديث عمرو بن سلمة فقال الخطابيُّ كان أحمد يُضعف أمر عمرو بن سلمة وقال مرة دعه ليس بشيءٍ، ولعله إنما توقف عنه لأنه لم يتحقق بلوغ

(١) المقنع لابن قدامة مع حاشية منقولة من خط الشيخ سليمان بن عبد الله (١ / ٢٠٢).

الأمر إلىٰ النبي ﷺ فإنه كان بالبادية في حيٍّ من العرب بعيد من المدينة، فأما إمامته في النفل ففيها روايتان: إحداهما: لا تصح لذلك، والثانية: تصح لأنه متنفلٌ يؤم متنفلين، ولأن النافلة يدخلها التخفيف، ولذلك تنعقد الجماعة به فيها إذ كان مأمومًا»[١].

**وقال:** قوله: «ولا بأس بإمامة ولد الزنا»؛ وهو قول عطاء وسليمان بن موسىٰ والحسن والنخعي والزهري وعمرو بن دينار وإسحاق، وقال أصحاب الرأي: لا تجزئ الصلاة خلفه، وكره مالك أن يُتخذ إمامًا راتبًا، وكرهه الشافعي مطلقًا.

ولنا عموم قوله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم**»، وقالت عائشة رضي الله عنها: ليس عليه من وزر أبويه شيءٌ...»[٢].

**والمقصود:** أن الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ شأنه شأن العلماء الربانيين، فهو لا يخرج عن الكتاب والسنة، ولا يخالفهما لقول أحدٍ كائنًا من كان، ومن كان هذا حاله؛ فهو بعيدٌ كل البعد عن تبني مثل هذا القول الغريب المُحدَث.

- **الاستدلال الرابع:**

استدلالهم بقول الشيخ عبد الحميد بن باديس الصنهاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٥٩هـ).

فقد ذكروا عنه أنه قال: «وللفقهاء خلاف في حصول الأجر لمن يقرأ القرآن من غير فهم ولا تأمل».

**والجواب علىٰ هذا الاستدلال من وجوه:**

**الوجه الأول:** أن مثل هذا النقل عن ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يفرح به إلا جاهلٌ أو صاحب هوىٰ؛ إذ يظنه دليلًا له، وهو في الحقيقة دليلٌ علىٰ جهله، أو هواه، إذ من المعلوم أنه لا خلاف بين العلماء في أن القرآن الكريم مما يُتعبَّد الله عَزَّوَجَلَّ

(١) المقنع لابن قدامة مع حاشية منقولة من خط الشيخ سليمان بن عبد الله (١ / ٢٠٦).

(٢) المقنع لابن قدامة مع حاشية منقولة من خط الشيخ سليمان بن عبد الله (١ / ٢٠٩).

بتلاوته، وأن هذا التعبُّد قد دلَّ عليه الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة، وأن القرآن وإن كان المقصود منه فهم معانيه والعمل به، لا مُجرَّد التلاوة؛ إلا أن التلاوة وسيلةٌ وعبادةٌ مُستقلةٌ، يُؤجر عليها المسلم، وهذا أمرٌ لا يخفىٰ علىٰ ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا علىٰ أمثاله من أهل العلم.

**وفي ذلك:**

**قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٥١هـ)**: «وقد اختلف الناس في الأفضل مَن: الترتيل وقلة القراءة، أو السرعة مع كثرة القراءة: أيهما أفضل؟ علىٰ قولين.

فذهب ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيرهما إلىٰ أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها.

واحتج أرباب هذا القول بأن المقصود من القراءة فهمُه وتدبُّره، والفقه فيه والعمل به، وتلاوتُه وحفظه وسيلةٌ إلىٰ معانيه، كما قال بعض السلف: «نزل القرآن ليُعمَل به، فاتخذوا تلاوته عملًا»، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يَحفظوه عن ظهر قلب.

وأما من حفظه ولم يَفهمه ولم يَعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم.

**قالوا:** ولأن الإيمان أفضل الأعمال، وفهم القرآن وتدبُّره هو الذي يُثمر الإيمان، وأما مُجرد التلاوة من غير فهمٍ ولا تدبرٍ، فيفعلها البَرُّ والفاجر، والمؤمن والمنافق، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن، كمَثَل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر**».

**والناس في هذا أربع طبقات:** أهل القرآن والإيمان، وهم أفضل الناس.

**والثانية:** مَن عَدِم القرآن والإيمان.

**الثالثة:** من أوتي قرآنًا، ولم يُؤت إيمانًا.

**الرابعة:** من أوتي إيمانًا ولم يُؤت قرآنًا.

**قالوا:** فكما أن من أوتي إيمانًا بلا قرآن أفضل ممن أوتي قرآنًا بلا إيمان، فكذلك من أوتي تدبرًا وفهمًا في التلاوة أفضل ممن أوتي كثرة قراءةٍ وسرعتها بلا تدبُّرٍ.

**قالوا:** وهذا هدي النبي ﷺ، فإنه كان يُرتل السورة حتىٰ تكون أطول من أطول منها، وقام بآيةٍ حتىٰ الصباح.

**وقال أصحاب الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كثرة القراءة أفضل، واحتجوا بحديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**». رواه الترمذي وصححه.

**قالوا:** ولأن عثمان بن عفان قرأ القرآن في ركعةٍ، وذكروا آثارًا عن كثيرٍ من السلف في كثرة القراءة.

**والصواب في المسألة أن يقال:** إن ثواب قراءة الترتيل والتدبُّر أجلُّ وأرفع قدرًا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا، فالأول: كمن تصدَّق بجوهرةٍ عظيمةٍ، أو أعتق عبدًا قيمته نفيسةٌ جدًّا، والثاني: كمن تصدَّق بعددٍ كثيرٍ من الدراهم، أو أعتق عددًا من العبيد قيمتهم رخيصة»[1].

**وقال العلامة الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٢٥٠هـ):** «وأما سؤاله عافاه الله عن الذي يقرأ القرآن ولا يعرف معناه كالعوام فنقول: الأجر علىٰ تلاوة القرآن ثابتٌ، لكنه إذا كان يتدبر معانيه ويمكنه فهمه فأجرٌ مضاعف، وأما أصل الثواب

---

(١) زاد المعاد (١ / ٣٢٧).

لمجرَّد التلاوة فلا شك فيه، والله سبحانه لا يُضيع عمل عامل، وتلاوة كتابه سبحانه من أشرف الأعمال لفاهمٍ وغير فاهمٍ، وإذا أضاع أحدٌ ما اشتمل عليه القرآن من الأحكام أثِم من جهة الإضاعة لا من جهة التلاوة(١)»(٢).

ثم لو سلمنا جدلًا بأن الشيخ ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أراد بكلامه هذا المعنىٰ الذي خرج به أصحاب القول الجديد المُحدَث، وحاشاه!!، لكان قوله مردودًا، ولَمَا قُبِل منه، لِمَا فيه من مُخالفةٍ صريحةٍ لِمَا سبق ذكره من الأدلة، ومن أقوال أهل العلم، وكما هو معلوم: ما من أحدٍ إلا ويُؤخذ من قوله ويُرد، إلا النبي ﷺ.

والتعبُّد بتلاوة القرآن لا خلاف فيه، ومن ادَّعىٰ فيه الخلاف فليأتنا بالدليل.

**الوجه الثاني**: أن الأمر كما قيل: «وما آفة الأخبار إلا رواتها»، وهذا من المصائب حقيقةً؛ التي ابتلينا بها، والتي نعاني منها في هذا الزمان، إذ ينقل الناقل كلامًا، يُجرِّده عن سابقه ولاحقه، دون أن يَفهم مراد المتكلِّم منه، فيحمله علىٰ ما يُريده هو؛ دون نظرٍ ولا تأملٍ، هل خرج في فهمه له بقولٍ مُعتبرٍ، أم لا، هل وافق مراد المتكلِّم، أم لا، فتجده ينقله علىٰ ما فهمه هو، أو علىٰ ما أراد هو أن يَفهمه وأن يستفيد منه لتقرير مذهبه الجديد الذي أراد تقريره، وإن أضرَّ بصاحبه، ونسب له ما لا يعتقد، فهذا أمرٌ لا أهمية له عند هذا الصنف من الناس، والسبب في ذلك؛ إما الجهل المركب، أو الهوىٰ، والله المستعان.

إذ كان من الواجب علىٰ هذا الناقل أن يتريَّث في نقله للكلام، مادام قد رآه مُخالفًا لِمَا يُقرره العلماء، ولِمَا يعتقدونه، وأن يبذل قصارىٰ جهده للوصول إلىٰ مقصود المُتكلِّم، قبل أن يستدل بكلامه، لكيْ لا يظلمه، فينسب له ما لم يُرِد،

---

(١) فهل بعد هذا الوضوح في معرفة ما عليه أهل السنة والجماعة في هذا الباب من وضوح؟!!.

(٢) الفتح الرباني من فتاوىٰ الإمام الشوكاني (٤ / ١٩٠٠).

فإن أراد السلامة في هذا الباب، فإما أن يسلك هذا المسلك؛ مسلك التريُّث، وفَهم مراد المتكلِّم علىٰ الوجه الصحيح الذي أراده، وإما أن يُعرض عن الكلام بالكلية، إذ رآه مخالفًا لِمَا قرره العلماء، وعجز هو عن فهمه فهمًا صحيحًا، هذا ما يلزمه، لا أن يتخذ من هذا الكلام دليلًا له ينتصر به لنفسه، ويقرر به باطله؛ الذي خالف به العلماء، فيقع في ظلم هذا العالم ونسبة الباطل إليه، قصد ذلك أم لم يقصده، والله المستعان.

ومن تأمَّل كلام الشيخ ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأتىٰ بسابقه ولاحقه؛ وجد أنه في وادٍ، وأن المُستدلَّ به لتقوية مذهبه الجديد المُحدَث في وادٍ آخر.

**فقد قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد دلَّ الحديث علىٰ ذمِّ المُباهي بتلاوته. وكثيرًا ما يقصد قُرَّاء زماننا المُباهاة بأصواتهم والفخر بحفظهم، ولاسيما إذا كانوا يتلون مُجتمعين بصوتٍ واحد، فليحذر من يجد هذا من نفسه، وليعلم أن كتاب الله هدايةٌ تخشع لها القلوب، وتستسلم إليها الجوارح.

ودل أيضًا علىٰ ذمِّ المُسترزق بالقرآن، وكثيرٌ من قُرَّاء زماننا لا يقصدون من حفظه إلا التوسل به للتلاوة علىٰ الموتىٰ بأجرة، ونحو ذلك من الأغراض الدنيوية المحضة.

ولا يتناول هذا الذَّم من يأخذ الأجرة علىٰ تعليم القرآن إذا كانت في مقابلة تعبه وشغل وقته، ولم يتخذ تعليمه صناعةً من الصناعات المادية المحضة، بل علىٰ هذا المعلم - إن أراد السلامة من ذلك الذمِّ - أن يكون هو نفسه عاملًا بكتاب الله، وأن يقصد من تعليمه الدعوة إلىٰ العمل به.

ثم عنون بعد ذلك: «الغاية من قراءة القرآن»، وذكر عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان يقول: «أُنزِل عليهم القرآن ليعملوا به، فاتخذوا درسه عملًا. أن أحدهم

لَيَتلو القرآن من فاتحته إلىٰ خاتمته ما يُسقط منه حرفًا وقد أسقط العمل به».

**ثم قال:** ذمَّ ابن مسعود من اتخذ تلاوة القرآن عملًا. فكيف حال من آجر نفسه للتلاوة وباع عمله ذلك؟.

وللفقهاء خلافٌ في حصول الأجر لمن يقرأ القرآن من غير فهمٍ ولا تأمل. وهذا إذا قصد التالي بتلاوته وجه الله تعالىٰ؛ لأن الإخلاص شرطٌ شرعيٌّ لترتيب الثواب الأخروي، فهل هذا الذي يتلو القرآن من غير فهمٍ بأجرةٍ مخلصٌ لله في تلاوته حتىٰ يختلف في إثابته علىٰ التلاوة؟.

وقد فتحنا بابًا للبحث في موضوع «الفداوي»، واللبيب يكفيه ما اقتصرنا عليه»[1].

فالمتأمِّل في كلام ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يَجد وبوضوحٍ أنه يتكلم عن المُتأكِّلين بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ الذين يقرأونه في المآتم وغيرها بأجرة، وهم من يُسمَّون عندهم: «الفداوية»، ولم يُرِد به من يَتلوه ويَحفظه مُتعبدًا بتلاوته وحفظه، ومتقرِّبًا بهما إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، لا من قريبٍ، ولا من بعيد، وسيأتي بيان مذهبه في هذا الباب.

وهذا واضحٌ في قوله: «ذمَّ ابن مسعود من اتخذ تلاوة القرآن عملًا. فكيف حال من آجر نفسه للتلاوة وباع عمله ذلك؟».

أما ما ذكره من خلافٍ حين قال: «وللفقهاء خلافٌ في حصول الأجر لمن يقرأ القرآن من غير فهمٍ ولا تأمل. وهذا إذا قصد التالي بتلاوته وجه الله تعالىٰ»؛ فالمراد به:

أن العلماء قد اختلفوا في حصول الأجر والثواب لقارئ القرآن؛ إذا ما قرأه في هذه المآتم وغيرها دون أجرة، وإن قرأه فيها مُبتغيًا بقراءته الأجر والثواب من الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) آثار ابن باديس (٢ / ٣٢٥).

**وذلك لِمَا هو معلوم من أن للعلماء في هذه المسألة قولين:**

فمنهم من أجاز القراءة في المآتم وغيرها؛ إن كانت دون أجرة، ومنهم من منع من ذلك، ورأىٰ أنها بدعة.

فمن أجازها قال بحصول الأجر والثواب عليها، ومن منعها قال بتأثيم فاعلها، وإن ادَّعىٰ الإخلاص، لأن العمل لا يُقبل إلا بشرطين: الإخلاص والمتابعة، وقد أتىٰ فاعلها بالإخلاص فيما يظن، وأخلَّ بالمتابعة؛ فأثِم، إذ لا دليل علىٰ فعله، لا من كتاب، ولا من سنة.

ولذلك أتبعه بقوله: «فهل هذا الذي يتلو القرآن من غير فهمٍ بأجرةٍ مخلصٌ لله في تلاوته حتىٰ يُختلف في إثابته علىٰ التلاوة».

ذكر ذلك لتأكيد الإثم علىٰ من هذا حاله، وأنه ممن لا خلاف علىٰ تأثيمه.

ثم بيَّن المقصود من كل هذا الكلام؛ فقال: «وقد فتحنا بابًا للبحث في موضوع «الفداوي»، واللبيب يكفيه ما اقتصرنا عليه».

بل جاء عنه ما يبيِّن هذا المعنىٰ، وذلك في كلامٍ له حول فتوىٰ القراءة علىٰ الأموات، وأنها تُقرأ عند تشييع الجنازة، وحول الميت، وحول قبره عند دفنه، إذ بيَّن أنها من البدع المُحدَثة؛ فكان مما قال:

«... وكنا ننتظر منه أمرين أحدهما دفاعه عن فتواه إن كان له عنها من دفاع، وثانيهما وفاؤه بما وعد. فأما الثاني فإنه لم يكتب فيه حرفًا إلىٰ الآن؛ وأنَّىٰ له أن يأتي بأدلةٍ من الكتاب والسنة لِمَا يعترف هو نفسه أنه خلاف السنة. وإننا نتحدَّاه ونقول له إنه لن يستطيع أن يأتي علىٰ بدعة القراءة علىٰ الأموات في المواطن الثلاثة بسنةٍ ثابتةٍ من قولٍ أو عملٍ أو تقرير، فليأت بشيءٍ من ذلك إن كان من الصادقين...

**إلىٰ أن قال:**

فبان بهذا كله أن حديث قراءة يس - علىٰ ما فيه كما عبر فضيلته في أصل الفتوىٰ - خارجٌ عن موضوعنا، لأن موضوعنا في القراءة علىٰ الميت بعد موته؛ وهو الذي يفعله الناس ويُسمونه «فدوة»، وعند تشييعه كما يفعل «مروقية» تونس وغيرهم، وهو الذي قصر فضيلته الكلام عليه في التذييل كما تقدم، وبعد دفنه عند قبره. وليس لنا أن نقيس هذه المواطن علىٰ قراءة يس عند المحتضر؛ لأن القياس لا يدخل في العبادات، ولأن المعنىٰ الذي قصد من قراءتها - وهو التخفيف عليه حال النزاع - معدومٌ في هذه المواطن.

ولهذا فنحن ما زلنا نطالب فضيلته بالإتيان بسنةٍ صحيحةٍ قوليةٍ أو فعليةٍ تُثبت مشروعية القراءة في موطن من هذه المواطن. وأنَّىٰ له ذلك؟.

حقًّا لقد صارت مسألة السنة في تشييع الجنازة - وهي الواضحة الجليلة - ذات ذيولٍ، ففضيلته قد جعل لفتواه تذييلًا، فلا تأصيل ولا تدليل. ونحن - بحكم العدوىٰ الكتابية - قد جعلنا لردنا عليه هذا التذييل. ولكنه لم يَخل من دليل.

كل ما يريده فضيلته هو بقاء تلك الحالة المُنكرة البشعة من تشييع الجنائز التي نشرنا فيما مضىٰ بيان بعض الكُتاب من إخواننا التونسيين عنها، وهو يعلم أنْ لا بقاء لها إلا ببقاء تلك الفئة من «المروقية» قائمة بها، وأنها لا تقوم بها إلا بثمن، فليُفتِ حينئذٍ فضيلته ولابد بتحليل ذلك الثمن، وجواز أخذ الأجرة علىٰ القراءة.

**فلذا قال في تذييله:** «وأما أخذ الأجرة علىٰ قراءة القرآن فاعلم أن أخذ الأجر علىٰ القراءة جائز باتفاق الأئمة الأربعة».

باتفاق الأئمة الأربعة! هذا باطلٌ ما دعا إليه وحمل عليه إلا الحرص علىٰ بقاء هذه البدعة والعياذ بالله، والحقيقة هي أن الحنفية والحنابلة - كما هو مُصرَّحٌ به في

كتبهم - لا يُجيزون أخذ الأجرة علىٰ القراءة، وحجتهم علىٰ ذلك أن الأجر دفع لأجل حصول ثواب القراءة للدافع لكن[1] القارئ ما قرأ إلا لأجل ذلك الأجر، فلم يكن عمله خالصًا لله، فلم يكن له عليه ثواب، فهو آثمٌ؛ لأنه أكل الأجر بالباطل، والدافع آثمٌ لأنه متسببٌ له في عملٍ بلا إخلاص، وفي ذلك الأكل بالباطل...»[2].

**الوجه الثالث:** ذِكر شيءٍ من عبارات الشيخ ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأقواله؛ التي يظهر بها وبوضوح تام بطلان ما نسبه إليه وما فهمه عنه القائلون بإخراج حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

**قال الشيخ ابن باديس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه البركة، وهذا التيسير، وهذا الأمر بالتلاوة المقرون بالأمر بتوحيد العبادة وبالإسلام علىٰ طريق الحصر، لم تَرِد إلا في القرآن.

وروىٰ الترمذي عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»...

وهذه مثوبةٌ لم تَرد لغير القرآن من جميع الأذكار.

وروىٰ الترمذي عن أبي أمامة مرفوعًا: «**مَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَىٰ اللهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ**».

ومن معناه ما ذكره القرطبي عن فروة بن نوفل عن خباب بن الأرت قال: «إن استطعت أن تقرَّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فإنك لا تقرَّب إليه بشيءٍ أحب إليه من كلامه»، ومثل هذا لا يقال بالرأي فهو في حكم المرفوع»[3].

---

(١) العبارة في المطبوع: (لكان القارئ)، والصواب ما أثبتُّ، فبه يَستقيم المعنىٰ.

(٢) آثار ابن باديس (٣/ ٩٣ - ١١٣).

(٣) تفسير ابن باديس (ص: ٣٠).

**وقال**: «لهذه الأدلة الأثرية والنظرية المذكورة وغيرها؛ ذهب الأئمة من السلف والخلف إلىٰ أن قراءة القرآن أفضل من الذكر. قال سفيان الثوري: «سمعنا أن قراءة القرآن أفضل من الذكر». نقله القرطبي في الباب السابع من كتاب التذكار.

**وقال النووي**: «واعلم أن المذهب الصحيح المختار الذي عليه من يُعتمد من العلماء: أن قراءة القرآن «أفضل» من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار، وقد تظاهرت الأدلة علىٰ ذلك». قاله في الباب الثاني من كتاب التبيان»[١].

وأقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرةٌ في هذا الباب، كلها تنقض ما فُهِم من كلامه أو ما نُسِب إليه؛ وتُبطِلهما، واللبيب تكفيه الإشارة، وأختم هذا الوجه بقوله:

«وقد فهم السلف من هذه الأحاديث بيان ما يكون وظيفةً وحزبًا يستمر عليه؛ فلذا لم يمتنعوا من ختم القرآن في أقل من ذلك في مراتٍ في بعض الأحوال، وقد ثبت عن كثيرٍ منهم ختم القرآن في ركعةٍ واحدة.

ولا شك أن أحوال حملة القرآن تختلف في التفرغ للتلاوة والاشتغال بغيرها.

وأحوال الشخص الواحد في نفسه تختلف كذلك، فيرتب حامل القرآن حزبه من الشهر إلىٰ السبع علىٰ حسب حاله.

فإذا لم يكن من حملة القرآن فلا يخل ليله ونهاره من تلاوة شيءٍ مما معه حسب استطاعته، ولا يكن من الغافلين.

**ثم قال**:

قراءة القرآن أفضل أعمال اللسان، وتدبر معانيه أفضل أعمال القلب، هذا

---

(١) تفسير ابن باديس (ص: ٣٢).

من حديث أبي أمامة عند الترمذي الذي قدمناه في القسم الأول، فليقصد التالي التقرب إلىٰ الله بهما.

والقرآن موعظة تُرقق القلوب القاسية؛ فليقصد تليين قلبه.

والقرآن شفاء لأدواء النفوس في عقائدها وأخلاقها وأعمالها؛ فليقصد الشفاء به من ذلك كله.

والقرآن هدًىٰ ودلالةٌ علىٰ كل حال ما يوصل إلىٰ سعادة الدنيا والأخرىٰ، فليقصد الاهتداء بهدايته.

والقرآن رحمةٌ من الله للمؤمنين، فليستنزل بتلاوته وتدبره الرحمة من الله تعالىٰ بإفاضة علوم القرآن علىٰ قلبه، وبتوفيقه إلىٰ القيام بمقتضىٰ هدايته.

ولا يسلم تالي القرآن - لأنه غير معصوم - من ذنوبٍ قد يصدأ لها قلبه، فليقصد بتلاوته جلاء قلبه، والتوفيق للتوبة من ذنبه.

وليجعل تلاوته لأجل تحصيل التوبة من أعظم وسائله إلىٰ ربه. وقد مضىٰ لك في الحديث القدسي في القسم الأول: «**مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ**».

**ثم قال:**

تحذير:

زعم قومٌ أن الصلاة علىٰ النبي ﷺ خيرٌ لعامة الناس من تلاوة القرآن، قالوا: لأن الصلاة ثوابها مُحقق ولا يلحق فاعلها إثمٌ، والقرآن إذا تلاه العاصي كانت تلاوته عليه إثمًا لمخالفته لما يتلوه!.

واستدلوا علىٰ هذا بقول أنس رضي الله عنه الذي يحسبه العامة حديثًا: «رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه». فأدَّىٰ هذا مُعتقِديه إلىٰ ترك قراءة القرآن أو التقليل منها،

فليحذر من هذا الرأي ومما أدَّىٰ إليه.

للصلاة منزلتها وفضلها، وللقرآن فضله ومنزلته، فليأت الذاكر من الصلاة ومن غيرها من أبواب الذكر بما لا يؤدي إلىٰ ترك أو تقليل تلاوة القرآن الذي هو أفضل الأذكار.

وهذا الرأي المتقدم في تفضيل الصلاة علىٰ التلاوة، مخالفٌ تمام المخالفة لِمَا نقلناه في: «نتيجة الاستدلال» عن أئمة السلف والخلف: من أن قراءة القرآن أفضل من جميع الأذكار، ولم يُفرِّقوا في ذلك بين عامةٍ وخاصةٍ. ومخالفٌ كذلك لمقاصد الشرع من تلاوة القرآن، وذلك من وجوه:

**الوجه الأول**: أن المذنبين مرضىٰ القلوب: فإن القلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ فكل معصيةٍ يأتي بها الجسد هي من فسادٍ في القلب ومرضٍ به.

وإن الله تعالىٰ قد جعل دواء أمراض القلب تلاوة القرآن، فقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فمقصود الشرع من المذنبين أن يتلوه، ويتدبروه، ويستشفوا به؛ بألفاظه ومعانيه.

وذلك الرأي يصرف المذنبين عن تلاوته![١].

**الوجه الثاني**: أن القلوب تعتريها الغفلة والقسوة، والشكوك والأوهام، والجهالات، وقد تتراكم عليها هذه الأدران كما تتراكم الأوساخ علىٰ المرآة فتطمسها وتُبطل منفعتها، وقد يُصيبها القليل منها أو من بعضها، ولا تسلم القلوب علىٰ كل

(١) هذا ما يعتقده ويدعو إليه العلامة ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه ردٌّ واضحٌ علىٰ مَن يريد أن يُقحِمه في مذهبه الباطل، وأنه لا يُجيز تلاوة القرآن أو حفظه إلا لمن يجمع مع هذه التلاوة أو الحفظ التفسيرَ!!.

حال من إصابتها، فهي محتاجةٌ دائمًا وأبدًا إلىٰ صقلٍ وتنظيفٍ بتلاوة القرآن. وقد أرشد النبي ﷺ إلىٰ هذا؛ فيما رواه البيهقي في الشعب، والقرطبي في التذكار[١]:

«**إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد**». قالوا: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: «**تلاوة القرآن**».

فمقصود الشارع من المذنبين أن يتلوا القرآن لجلاء قلوبهم.

وذلك الرأي يصرفهم عنه!.

**الوجه الثالث**: أن الوعيد والترهيب قد ثَبَتَا في نسيان القرآن بعد تعلمه، وذهابه من الصدور بعد حفظه فيها: فروىٰ أبو داود عن سعد:

«مَا مِنِ امْرِئٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللهَ أَجْذَمَ».

وروىٰ الشيخان عن عبد الله:

«**اِسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ**».

فمقصود الشرع دوام التلاوة لدوام الحفظ، ودفع النسيان.

وذلك الرأي أدَّىٰ إلىٰ تقليلها أو تركها المُوقِع في النسيان![٢].

---

(١) قوله: «فيما رواه البيهقي في الشعب»، أي في كتابه: «شعب الإيمان»، وقوله: «والقرطبي في التذكار»، أي في كتابه: «التذكار في أفضل الأذكار».

(٢) فماذا عساه أن يقول لو أدرك زماننا ووقف علىٰ مثل هذا القول الشيطاني؛ الذي لا وجود له، ولم يظهر إلا في زماننا، وفيه دعوةٌ واضحةٌ وصريحةٌ إلىٰ ترك تلاوة القرآن، وترك حفظه عن ظهر قلب، ما لم يجمع قارؤه أو حافظه مع هذه التلاوة أو الحفظ تَعلُّم التفسير، أي: إما أن يتلو القرآن أو يحفظه علىٰ هذا الوجه الذي يدعون إليه، ويحثون عليه، وإما أن يكون عند هذه «المجموعة»؛ أصحاب هذا القول الجديد المُحدَث مخالفًا لهدي الصحابة، وخارجًا عن جماعتهم، ولازمُ قولهم تبديع من هذا حاله، إذ أخرجوه عن دائرة أهل السنة والجماعة، أرادوا ذلك أم لم يريدوه، وقد سبق أن ذكرت عن أحدهم قوله: «أن التلاوة أو الحفظ علىٰ خلاف الطريقة التي يَدعون إليها – هم في هذه «المجموعة» – إنما هو من الضلال المبين»، =

**ثم قال:**

لوازم فاسدة لهذا الزعم:

وإلىٰ مخالفته لمقصود الشرع بهذه الوجوه؛ فإن له لوازم فاسدة منها:

أن صلاة النافلة مُرغَّبٌ فيها علىٰ العموم، وهي مشتملةٌ علىٰ قراءة القرآن، فماذا يقول أصحاب هذا الرأي؟ فهل يُرغِّبون المذنبين - أمثالنا - عن النافلة طردًا لأصلهم؟.

أم ينهون عن قراءة القرآن في النافلة، فيقولون ما لم يَقُله أحد؟.

أم يقولون بالاقتصار علىٰ قراءة سُوَرٍ دون سُوَرٍ، فيتحكَّمون في الأحكام؟.

ومنها: أنه قَلَّ مَن يسلم من مُخالفةٍ للقرآن بعمله، فإذا ذهبنا مع ذلك الرأي حُرِم خَلقٌ كثيرٌ من تلاوة القرآن.

وكفىٰ بقولٍ يؤدي إلىٰ هذا كله ردًّا علىٰ نفسه.

وأما قولهم: «إن تالي القرآن يأثم بقراءته مع مخالفته». فهي دعوىٰ لم يُقيموا عليها من نصٍّ صحيحٍ صريحٍ من سنةٍ أو كتابٍ. بل الدليل قائمٌ علىٰ خلافها: فإن المُذنب يُكتب عليه ذنبه مرةً واحدةً، ولا يُكتب عليه مرةً ثانيةً إذا ارتكب ذنبًا آخر، وإنما يُكتب عليه ذلك الذنب الآخر.

فكيف إذا باشر عبادة التلاوة؟؟! والأصل القطعي - كتابًا وسنةً - أن من جاء بالسيئة فلا يُجزىٰ إلاَّ مثلها، وهو يُبطل أن تُجدد له سيئاته إذا جاء بحسنة تلاوة القرآن.

=

وذكرت عن آخر منهم أنه استدلَّ لإخراج من يتلو القرآن أو يحفظه علىٰ خلاف الطريقة التي يَدعون إليها - هم في هذه «المجموعة» - عن هدي الصحابة وعن جماعتهم بقول الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ»، وكفىٰ بذلك ضلالًا، وحاشا العلامة ابن باديس وغيره من علماء السنة - رحم الله من مات منهم وغفر لحيهم - من الوقوع في مثل هذا الضلال، أو إقراره، وموافقة أهله عليه!!.

وأما قول أنس رضي الله عنه: «رُبَّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ»، فليس معناه أن القرآن يلعنه لأجل تلاوته. وكيف وتلاوته عبادة؟! وإنما معناه: أنه ربما تكون له مخالفةٌ لبعض أوامر القرآن أو نواهيه من كذبٍ أو ظلمٍ مثلًا، فيكون داخلًا في عموم لعنه للظالمين والكاذبين، فخرج هذا الكلام مخرج التقبيح لمُخالفة القرآن مع تلاوته، بعثًا للتالي على سرعة الاتعاظ بآيات القرآن، وتعجيل المتاب، لا مخرج الأمر بترك التلاوة والانصراف عنها.

هذا هو الذي يتعيَّن حمل كلام هذا الصحابي الجليل عليه بحكم الأدلة المتقدمة.

وثبت في الصحيح قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**». وهذا في المُتعبِّد بالصيام الذي يُوقِع الزور والعمل به في وقت صيامه؛ فيكون متلبسًا بالعبادة والمخالفة في وقتٍ واحدٍ.

ومع هذا فقد قال الشراح في معنى الحديث؛ والعبارة للقسطلاني:

«وليس المراد الأمر بترك صيامه إذا لم يترك الزور، وإنما معناه التحذير من قول الزور. فهو كقوله عليه الصلاة والسلام: «**من باع الخمر فليشقص الخنازير**»، ولم يأمره بشقصها، ولكنه على التحذير والتعظيم لإثم شارب الخمر. وكذلك حذَّر الصائم من قول الزور والعمل به، ليتم له أجر صيامه».

فمن باب أحرى وأولى ألا يكون قول أنسٍ رضي الله عنه، محمولًا على طلب ترك التلاوة من المُذنب، لأنه غير مباشرٍ لذنبه في حال تلاوته، وإنما المقصود تحذيره من الاستمرار على المخالفة، وترغيبه في المبادرة بالتوبة ليكمل له أجر تلاوته بكمال حالته.

هذا حظ العلم في الاستدلال على حاجة المذنبين إلى تلاوة القرآن العظيم.

وأما حظ التجربة: فوالله الذي لا إله إلاَّ هو، ما رأيت - وأنا ذو النفس

المَلأىٰ بالذنوب والعيوب - أعظم إلانةً للقلب، واستدرارًا للدمع، وإحضارًا للخشية، وأبعث علىٰ التوبة من تلاوة القرآن، وسماع القرآن»[١].

فهذه أمثلةٌ أربعةٌ يظهر بها وبوضوحٍ تام ما عناه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال:

«وأخذ مذاهب الفقهاء من الإطلاقات من غير مراجعة لِمَا فسَّروا به كلامهم وما تقتضيه أصولهم يجر إلىٰ مذاهب قبيحة»[٢].

وهو عين ما وقع فيه القائلون بإخراج قارئ القرآن أو حافظه دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فيما استدلوا به من استدلالات ونشروها في وسائل التواصل.

والقول بإخراج قارئ القرآن أو حافظه دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، يلزم منه القول بإخراجه عن هدي السلف جميعًا، وإن لم تنطق به هذه «المجموعة»، ولم تنص عليه صراحةً، بل ولا تُريده، وذلك لِمَا سبق ذِكره من أنهم يُفرقون بين هدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وبين هدي من جاء بعدهم من الأئمة والعلماء، فهم يحصرون لفظة «السلف» في الصحابة وحدهم دون من سواهم، ويُخرجون منها كل من جاء بعدهم من الأئمة والعلماء، وذلك لعلمهم بمخالفة هؤلاء الأئمة والعلماء الصريحة لهم في هذا الباب، وهو ما حملهم علىٰ هذا التفريق الباطل المنكر، إذ ظَفروا - حسب ظنهم - بأثرٍ لأبي عبد الرحمن السلمي؛ يُسهِّل لهم هذا التفريق ويُخلِّصهم من قول العلماء ومن فعلهم المخالف لهم ولِمَا يقولونه ويُقررونه في هذا الباب، إذ وجَدوا جُل هؤلاء العلماء؛ إن لم يكونوا كلهم؛ قد

---

(١) تفسير ابن باديس (ص: ٣٤).
(٢) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول (ص: ٢٨٠).

بدأوا بحفظ القرآن قبل تعلُّم العلم الشرعي، وقبل تعلُّم التفسير، وهو أمر لابد من الخلاص منه؛ لكيْ يتمكنوا من تقرير مذهبهم الذي تبنوه، ومن تمشيته ونشره، ولا سبيل لهم لتحقيق هذا الأمر إلا بهذا التفريق؛ الذي يجعل «السلف» هم الصحابة وحدهم، وبهذا يصيرون هم وحدهم - بهذا القول الجديد المُحدَث الذي خرجوا به علينا - أتباع الصحابة وهم وحدهم أتباع السلف؛ لأن الصحابة وحدهم هم من يَصدق عليهم لفظة: «السلف»، أما غيرهم فلا، وبهذا يكون كل من خالف قول هذه «المجموعة» الجديد المُحدَث، فهو مخالف لهدي الصحابة، وهو بالتالي مخالف لهدي السلف، ولا سلف له علىٰ قوله، قرروا هذا التقرير ثم أتبعوا ذلك؛ بأن جعلوا قراءة القرآن أو حفظه علىٰ خلاف ما يُريدونه هم ويقررونه من الضلال المبين!!، وقولهم هذا هو والله الضلال المبين.

أما أئمة أهل السنة والجماعة؛ فمنذ عصر التابعين إلىٰ يومنا هذا، وإلىٰ أن يَرث الله الأرض ومن عليها، هم أتباع الصحابة، وهم حَمَلة علم الصحابة، ونَقَلَة علمهم، وهم حَمَلة دين الله عَزَّوَجَلَّ، وحُماته، وإن رغمت أنوف مخالفيهم، وأنوف المفرِّقين بين هديهم وهدي الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وهو أمرٌ قد أخبر به رسول الله ﷺ، وليس هو بالأمر الجديد المُحدَث، وذلك قوله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ:

«**يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِين**»، رواه البيهقي، وصححه الألباني كما في مشكاة المصابيح.

وهؤلاء العُدول هم علماء الحق والسنة من أهل السنة والجماعة، وهم باقون إلىٰ أن يَرث الله الأرض ومن عليها.

كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وذلك قوله كما في

الصحيحين: «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك**».

وبهذا تمت الرسالة، وهو آخر ما قصدت إليه فيها، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان وسار علىٰ نهجهم واقتفىٰ أثرهم إلىٰ يوم الدين.

**كتبه**

**علي حسين الفيلكاوي**

**وتم الانتهاء منه سوى الحواشي وبعض الإصلاحات**

**يوم الاثنين ١ ربيع الثاني ١٤٤٢هـ**

**الموافق: ١٦ / ١١ / ٢٠٢٠ م**





# فهرس الموضوعات